

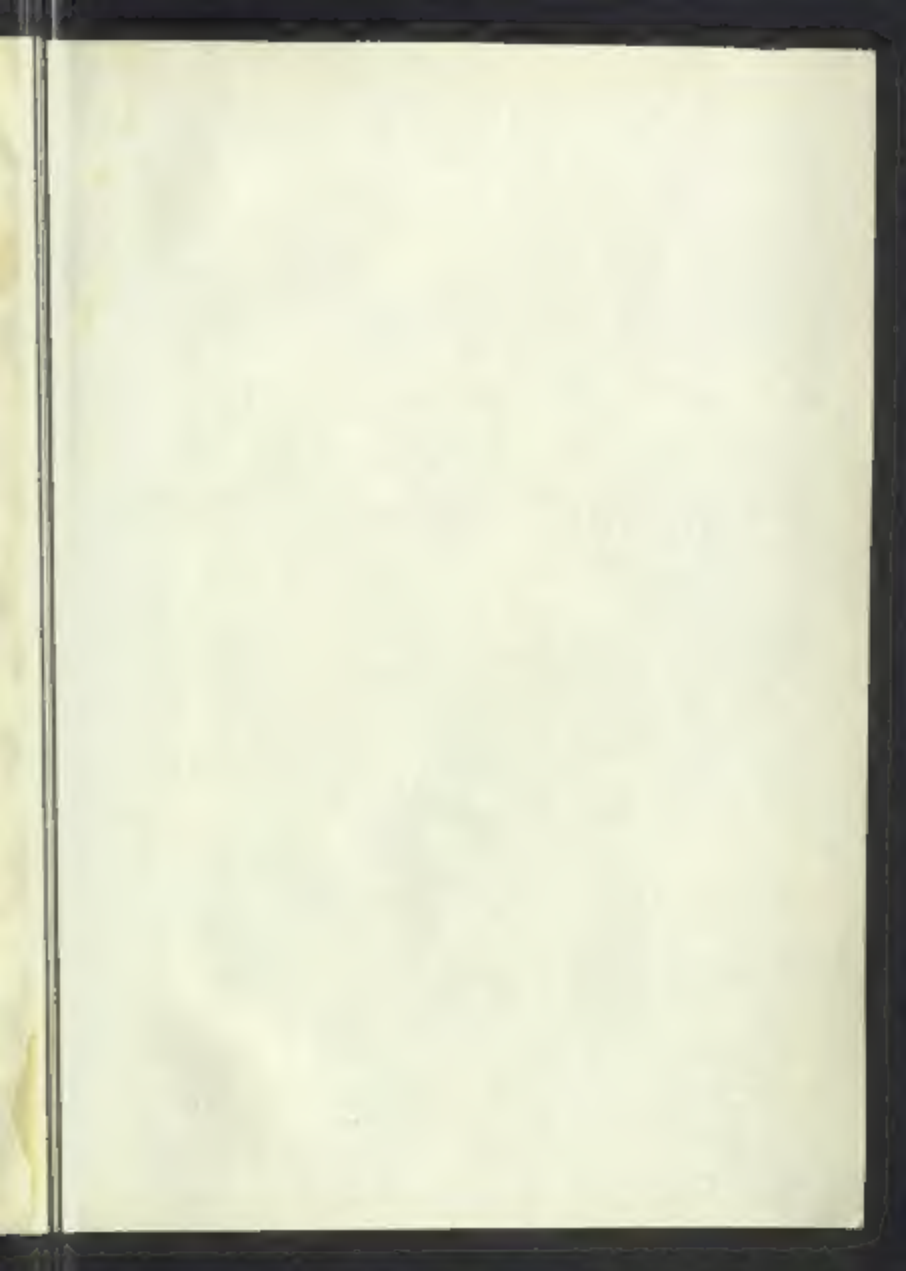
58585858

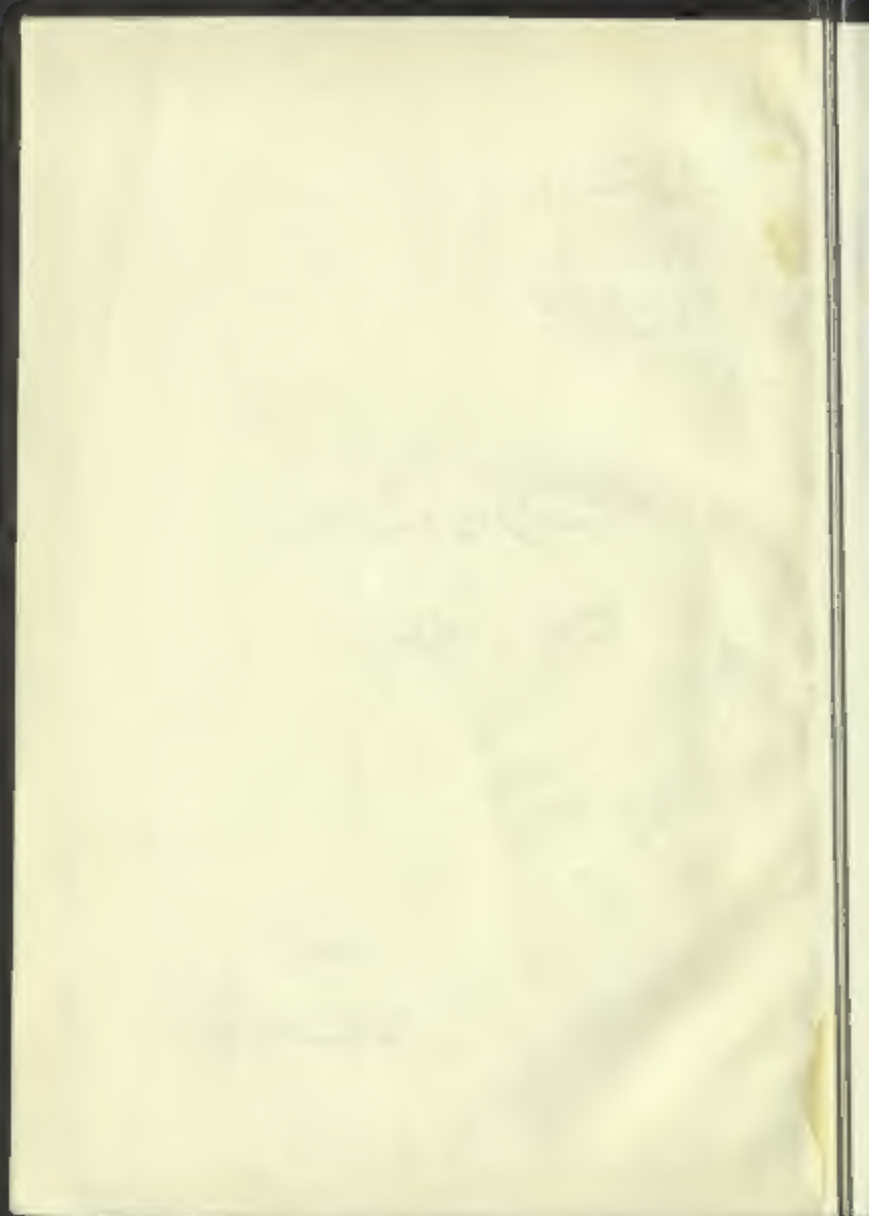
AMERICAN  
UNIVERSITY OF  
BEIRUT



تجليد صالح النشور

للمرق ٢٢٢٩٧٧









اجتہاد شریفی

892.78

Sh5985syA  
ج.ا

شیطان بنتا اور

او  
بیر لغمان و لغمان

بتحقیق

محمد سعید الغزالی

يطلب من

الكتبة التجارية الكبرى: شارع محمد علي بصر

حقوق الطبع محفوظة

١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م

مطبعة الاستقامة بالقاهرة



## تمهيد

بقلم

محمد سعيد العريان

هذا كتاب لا يعرفه قراء هذا الجيل فيما يعرفون من آثار شوقي الشاعر النثر القاص : وهو كتاب شعرٍ ونثر وقصة : لا أعني الشعر المنظوم : فإن حظ هذا الكتاب من ذلك الفن قليل ، ولكنه إلى ذلك فن من الشعر يروع بلفظه ومعناه وبما تحس فيه من نبضات قلب شاعره . . .

هو كتاب شعرٍ إذن وإن لم يكن منظوماً على ذلك النسق الذي ألفه الأدباء والمثادبون : لأن مؤلفه قد أثر أن ينثر فيه خواطره غير مقيدة بميزانٍ ولا قافية : وهو إلى ما فيه

من صفى الشعر والنثر ، أسلوب من القصص يسلكه في ذلك الباب الذى عرفه قراء العربية للرحوم أحمد شوقي في آخر ما أنشأ من فنونه الأدبية ، حين عرض « مجنون ليلى » ، و « كليو بآرة » ، و « على بك الكبير » ، و « عنترة » ، وغيرهم من أبطال الماضى القريب أو الماضى البعيد فردهم إلى الحياة أو رد إليهم الأحياء ...

ولكن القصص فى « محاورات بئناور » ، هذا الذى نصفه ، ليس جارياً على ذلك النمط الذى ألفه القراء فيما طالعوا من قصص شوقي ؛ لأنه لم ينشئه ليكون قصة ذات بدء وعاقبة وعرض متسلسل ينتهى بالمقدمات إلى نتائجها حتى تنحل العقدة أو تزداد تعقيداً ؛ كما يفعل كل قاص فيما ينشئ من ذلك الباب ؛ وإنما أنشأه ليقص قصته هو نفسه مع « بئناور » ، شاعر رميس الأكبر ؛ ذلك

اشاعر الذي حُدِّث في الآداب المصرية القديمة أو حديثه  
الآداب المصرية القديمة حور واديسا خضر في هذا العصر  
احديث بعد الآداب من ...

بعد عاش شوقي شاعر مصر الحديثة ، مع مشهور ،  
شاعر مصر القديمة ، حدة من عمره في احوال وكان بينهما  
من الود ما يكون من الأصدقاء . يسميان على مبدع ، أو على  
غير مبدع ؛ ويصغر قال على ما ؛ أو على غير مبدع كذلك ؛  
فيكون بينهما في كل لغة . وفي كل فراز ما يكون بين  
الصديقين حب بسمات وحين بمفرد ، من أسباب الشك  
والشكوى ، أو من أسباب الشوة والحين . ولكن من  
رمان شوقي ورمان مشهور فروا بمصاولة ، ومن مكابهما  
بادية جرداء متسعة الآخر قد استرت عليها أشلاء  
وحماحم وآثر أمم بئده وشروش مشولة ويحون محطمة .

فأين متعيان إلا أن يعبر أحدهما إلى صاحبه القرون  
ومن حوالبه تلك الأشلاء والحاجم والآثار ؟ ثم هل يكون  
حديثهما حين يلتقيان بعد ذلك الجهد - وإيهما لشاعران -  
إلا عن الأشلاء والحاجم . وعن تلك الآله التي كانت  
ثم بادت ؟

وكذلك كان ، وجرت محاورات ساءور وشوقي عن  
الأحداث التي تعاقبت على صفى النيل مد عهد رمسيس  
إلى عصر عباس ...

محاورات فيها من بقاءور حكمته وصوفيته وما يتقن  
من علم المصاوى ، وفيها من شوقي شعوره مصري يقط القلب  
والعقل والضمير ، قد حصل من علم الحاضر وذاق لذات  
الحصاره وتقدت على عبيه صور من أحياء وصور من  
الآحياء والأوان من الحوادث لا يتقن مثلها على عيني

شاعر رميس القديم ...

وكان بقاءور - فيما نُصَوِّره هذه الخناورات - برأ  
 مُعمرأ قد شهد المصاحي كله منذ كان حتى يوم لقائه لصاحبه .  
 ولكنه لم يزل يعيش في هذا الجيل على بقاءور شاعر  
 وميس الذي كان يعيش على صفة هذا الوادي منذ آلاف  
 من السنين ، أما شوقي فكان مُدْعِداً حديد ابصر قد أحاط  
 بكل شيء بما حواه عيننا ، وأحسن به إحساس الخي  
 بالحياة ، وصوره في نفسه تصوير العين لما ترى والقلب  
 لما يشعر ولعقل لما يدرك . لأنه ابن الجيل الذي لم يزل  
 يحيا . فهو يحس ويشعر ويدرك ويشعر ربح بعد قبل أن  
 يكون العد ...

صوربان من المصاحي العبد العبد إلى ما لا تُدرك  
 نهايته في انقدم . ومن الحاضر الحى المرئى إلى ما لا تُدرك

عائته من المستقبل - تنما على صفحة مرآة ، وحلظ  
شعاع منهما شمع ، فكل من امتزاج صورتين على صفحة  
ذلك المرآة ، ومن احتلاص الشعاع بـ شمع ، صورة ثابتة  
تتملأ العين برغبات ، وشمع من حكمة يذيق على القلب  
بالهدوء والاطمئنان ...

ذلك قصة شوقي ، في قصة غرهد سميان وأسر  
لعنان كما تصورهما من إغوارات ، فيها من شوقي شعر  
الشاعر ونثر الباشا وفي القصص فهو من الشاعر الباشا  
القصص الذي دمره فراء العربية فيما طابوا من روايته  
المطلوعة والمنشورة والمقصودة ...

على أن لهذه المحاورات دلالة أحرى على من شوقي  
الشاعر الباشا القصص ، فهو قد تشبها في سنة ١٩٠١ -  
وهو لم يرل بعد شوقي في ثلاثين أو قريباً من ذلك ، من

أن يتم تمامه في الشعر والنثر والقصة ، فهي من هذه لاجية  
أماره واضحة على مدى التطور الذي بل من شوقي فيما تلا  
ذلك من سين تزد على الثلاثين وهي إلى ذلك أمدرة على  
شيء آخر ، يتصل رأي شوقي في أحداث سببه المصرية (   
لعصره ، مد كان له رأي بنحوت به في تلك الأحداث  
أما بعد فهذا تعريف موجز لكتاب من كتب  
شوقي ، إلا يكن أعلاها في منه ، فيه أسدوه في التعبير  
عن نفسه .

ولم إلى ذلك لأرحو أب أكون عما حققت من  
لعط الكتاب وما حوت من نفسه وما صبطت من  
كليه ، قد أدبت للأمريية حقا وأدبت لشوقي مدثر .  
وما نوميقي إلا بالله ؟

يناير سنة ١٩٥٢





# مقدمة

بقلم شاعر القطرين

غزل مطرو

هي شذرات حكم وثرات فكر: صدح بها طائر مصر  
المحكى ، أحد شوقي ، من على قبة الهرم تارة ، وبين  
طلول مدح وعين شمس طوراً ، وذهب بها كل مذهب ،  
في سلسلة فصول سماها محادثات ، متاولاً فيها كل عبرة  
جليلة ، وكل معنى غريب ، مؤاحداً بها عصاة مصر الآن ،  
رفعها فيما تقدم من الزمان ، معافاً بالرفق ، بحاسا  
بالصدق ، جعلها على لسان طائرين ، هما أئمة لهما ، وهدد  
سليمان وشرها أخص ، أو نظمها ثراً ، بحيث هي الشعر

أو أنفس . وهي الكلام المرسل أو ألس .

ولهذا الكاتب العظيم كلف شديد محمد الفراعة ، فهو  
لا يها بذكرم ورياء الصحف والآثار بما يرويه عنهم من  
عجب الأحبار ، وإنما يريد بذلك تحريك وتزجيد في مواد  
الامة عن الأثر للحال فصلا عن الحقب الأول . وإجابه  
عاطفة في النفوس جئت لعدم تعهدها من هذه الآراء ؛  
وهكذا الشأن في الجسم والروح ، والجسم والمعنى لا يسلم  
مهما ما يُعقل ، ولا يستقيم ما يُمتثل .

على أنما يرى العربيين أكثر حسنا إلى قدماء المصريين  
من أسلافهم ، وأشد ولو عاينهم أسرارهم وتنسب أخبارهم ؛  
وذلك لأن حب العبد لما يعلقه : أصدق من حب  
القريب لما يحمله .

على أن صاحب عذراء الهند بعد أن ذكر فيها حرافات

حساب الخصرين - وهي أشبه شجرة بحراوات حديد إلى هذا  
 اليوم ، مما يدل على بحسه "مكر واتصال" - كان  
 ح- ير ، لا اتصال إلى أسمى منه يمين منها العنبر ، ما يستفاد  
 من قديم الخمر ، ، حيث العبر ، فصل ، فما  
 ونج ، بأ معلل

عائذ مطر



## المحادثة الاولى

حكى المحدث من الاسماء . وشيخنا .  
شعرا . قال

أكثر بحضرة الامن حتى بدت ، و طنت اطر في  
الكتب حتى شئت ، واشتقت الى عبدة مروه موهقة ،  
وحكمة من معها موهقة آخذها ولو موهقة ، لا موهقة  
ولا موهقة . خرجت الى الاهرام في وقت من اوقاننا  
الموهقة ، وبوم من أيامنا اعتره . ذهب بهره إلا  
أوحده . وراوت على الخرم صاحبه وماءه

نقرض العيم فيه      للشمس في كل منبت  
تروع منه تدو      ونحتي حين تذك  
والأفق منه ومنها      كالطهر لكي ويضحك

فبعت قصده . وإذا ذهب الأصيب عنه يرهو آوة ،  
 ونصدا بالغير آوة . والشمس صفراء في الأفق مكسرة  
 الأشعة . قد كذب . ما فعل ، كأها عين الأشعر الأحول ،  
 فوثقت إلى الحرم الأكبر . وحططت فوق حجر . ثم  
 تفضيت السطر . وكانت فتحة النور . وما كورة العطات  
 لك . إذ رأيت الشبح حوالى الأثر . يرتعون في الأصل  
 ويلعبون . ويهلون عن الإل . ويركبون . وقد صف عليهم  
 ثياب الكربة . وحزوا ديول الرهو والخيل . فقصت  
 من رؤيتهم على هذه صورة . وعرضهم في الصور بعد عبثهم  
 بالحث المقورة . فقال : أيتم أحجاره الخلد . انخرى من  
 هؤلاء كما سحرت من قير وحيله ، واستنزقهم كما استنزأب  
 بنابلون وجوده .

ثم حرحت من العصب فأصرت ، وناقت ما كنت

تكرت ، ومارال الحب ثقيي صاحبه ، واصل راكمه ،  
 ويريه صدور اذمر ولا يريه عافه ، انصرت فرأيت  
 عادي والوايح ، ورحمن حبيب صباح ، وم ارم مالك  
 ولا مانح ، ولا مهيبت ، خدش وانصت ، بحبه حتى من  
 جانب القبر صائح ، فرجعت في ثمر يوم إلى الرضى ،  
 وقلت يا من قد مر انمراة في مصر ، كما تزار  
 قصور اسوت في هذا مصر ، وذكرت ساعه فصبتها في قصر  
 ( وندسور ) مدائن سين ، والملكة يومئذ في الحياة .  
 لا تخرج اذ من عن طرفي فمكها ، ذاهما حاشيتنا اهار ،  
 قد حنت نفاصه ، وسقت في خنجر ، ورأيت فراش  
 الملكة وقد محتره ، كما ينصر هؤلاء إلى مراند انمراة وقد

---

(١) هو قصر موك ويصيا ، وكانت تجلس على عرشها

يومئذ لملكة فيكسويه

نقل ما فيها إلى دور الشعب ، وحين بين ذلك اللزاق وهذا  
الصدق فرحم الله المصريين القدماء ، ثولا هم ما ذكر مصر  
الداكرون . ولا ظلت كعبه يورثها الرانرون  
قَصَوْا والدور بعبه وألوا . ويس شخصهم ملوذيات  
فادهوا ولكن في اعتبار . وما ماتوا ولكن في نسات  
قال .

ثم وقف تأمل فيور السوك العظيم ، وأذكر عمت  
الانام لا الايام . وأعجب للأهرام - وهي من عمل الأسره  
الراسته . ولباب المصرى في أول عهده بالحياة وبدايه  
دحو له في الحصاره - كيف رسمت في الأرض رسوخه في  
العلم ، ووقفت للدهر وفوقه في العن ، وكلما تأملها حزنى  
العبره عن الطرة ، وانطه عن اللحظه . فرأيت اسعير كيف  
يزول ، والحال كيف يحول والدولة كيف تدول . والمُلك



كبير إلام يشول وبعث الخوف منى فقلت .

لم رأيت قصورهم تكتف فها لهاقد

وصكتها نهد الثرى ولاة مد كلب هاهنا

نبتت رواسبه يوم من العظام ولا المراقب

وهدت حوتها أفيب كل والكباش والمناحد

وحدت ثبات واضط دؤن رواهر كاهراقب

أبصأ أم . نهد الموب بالآثر خلد

ونمت نظر إلى الأهرام . لالعةظم في حرم وخامه

في النيب . ورموح في الأرض وصول رعد . فون

استعصم رؤية الأحرار من حلائق الصبيان . لكن كمرام

أرى فيهم مدم . المصريين كاهم في الأعصر الاول ولما

يكنتم اذولا أربع . فلا في لاهوراً واعنه . وأشباهاً

لاتحة . ثم أنظر في المصريين الأحياء وكأنا أنملهم

في مرة بحصة مفردة . صور موحدة . وأشاح مفرقة ،  
 وأعضاء كحداثة الأثلام . من صباغ تناسل . وما احتلما  
 " حاح لكن هي الأخلاق تحس ونصح ، ونعي ونقص ،  
 ونوم ونعوج ، وزيت من قوم ، لا زيت من آخرين .  
 ما أمد ما بين الأصل والمرع ، وشاب ما بين الوالد والمولود ،  
 ذلك قبيح شذوذ ، وأحار من النبي الأحسان ، ونشر  
 سلطانه على البلاد والعباد ، وأحد لأثره من أمد  
 ميثاق من الآباد ، حاته بوب وموت للحريم يعمل للذكر  
 ويحيي للأحاديث ، ويترك لأماه ، ولعم أن تسمية حية  
 ثابة ، في هذه الدار المايه . ونما ليس الموت إلا سمر من  
 الأسفار ، ونقه من دار إلى دار

ولا يستوى ، ولا يقتل ذكره

وأحر مدد كل اسان

وتمس معشر الألسه فيم برعم ، ودراري المصريين  
 القدماء فيما تنوهم ، أمة ييم ، لا تعرف الموت إلا في الأحلام ،  
 كأنما ولاية اليهود شارا أو رؤى قدوم ما يوم المحررين ،  
 وغدنا غد اليائسين ، وأمن لا تدب ولا لاس ممي  
 الحياة عدا شيء باعش ، وصرودهم نعيم رائل ، وما هبتها  
 أيام فلانل لا تدحر صاحبت ولا رفيا ، ولا حو  
 عونا في حياه ولا ممات ، تروا أحب لوسه من وشهه ،  
 ولا يترك لهم من محبه

قال المحدث

وما لشت الشمس أن عرت عن بلاد ، وعلمت على  
 بلاد ، فأفاق في مهر جان وأحر في حداد حدثت بهي  
 بالانشاء ، فراراً من وحشة الظباء لكي ما سمعت حتى  
 شعرت بانتهاء من سائر من أخوارح وسمعت هاماً يقول

يا مادي الحجر ، ومادي الأثر . أخطأتك مصدوفة البحر ،  
وعابث أمهات مر . هلاقت في سكرتي أحوال ،  
وجوب هذه الزلزال

أيتها الهرم المسحوق من زحل  
ضرب السحوس على آب والرمس  
هوى حو " بيت ميث لا قيام له  
وعنت في : انك الأربع المذن

وتمت الهائف عن الكلام ، همت مدعورا ، على  
أرى على مكان شبح إنسان ، أوحيا ل شيطان ، ولم أر غير  
قصر ، مسجوع في وكر ، تسع عليه لدمر ، وهو يرنو  
بصره أوب كآثر ، في كليهما إنسان كقصه من جبر .  
قدوت منه وتأمل فيه . وإذا هو قد ورس منه العظم ،

ونثر الرث من لكتهم ، وشذ معمره ، في سافيه ، نسيب  
 من الهرم . وأكل على حَوْحَوْه الرمن وشرب القندم .  
 فعلت لعمه نوح النور ، أو بعض ما حن نوح معه من  
 الطيور : واتسرت خطابه فقلب . سلاماً إليها شيطان !  
 إن كنت لبدلهم ، وفي قدهم سيب .

قال النمر واستصحت انتب على السبع والظان .  
 وانتحلت لي ولث . دبير ، أبا آدم شمره ، ولا يضرام .  
 وأول من نطق ، بحفة أعزام ، فوق هذه الأعزام !  
 قال الهمد

وكنت لم أظنه من ريس إليه ، ولم أعلم أنه من بينيه ،  
 فدمرت نصي وفت . شيطان قديم ، فلا عسر منه مالم أعلم ،  
 وفوق كل ذي علم عليم . ثم قلت أخاطبه  
 الأدم أيها النمر مدارس الأحلام ، ولا يستوى

في العلم كهنٌ و غلام . فلا أسحجى أن أسألك من أنت ،  
فقد استبهم على ما بينت .

قال أما من سميت في قرصك ، وكرمت في شعرك ،  
ونمت في قوايك فضلك لا أساء ، وما كنت  
تراقى لولاه .

قلت . لث صدقت مراعى . فأت الروح الأكبر ،  
والشيطان الأشهر ، والدمر الأعمر ، متاهور شاعر الميث  
وعيسى . وحامل لواء البيان في طينة وصفيس

قال إنه أنا . وإني لك أقرير . كنت أراك تستمع  
لواعظ الدهر ، فوق هذه المار . وتجمع الخبر والخبر ،  
عن ذلك الملك العابر ، والسلطان العائب الحاصر ؛ وحديث  
بأقدم المقابر ، أن تعط الزائر والمعابر ؛ فهمست في أذنك  
بالبيتين ، أريد أن أريك ما لم تر عين . انظر كيف تر مذهب ؟

قلت : أطلال بآية ، ورسوم عابئة ، عدهم قرية كمعض  
القرى ، لا تكاد تحسب من الشئ .

قال : فكيف عن شمس ؟

قلت : مرايع ، مال ، لا حلال عليها ولا تحال .

قال : فانظر "عسقاط كيف تراها ؟

قلت : نيت وأديرة ، ودير مستنكرة .

قال : فها هذه ، مدينة القاهرة ، والوصف لناصره ،

والدربة الساهرة ؟

قلت : مدينة القاهرة .

قال : لمن هي ؟

قلت : لعمروها .

قال : هي إذن في حكم المدن اعارة عواصم أربع ،

كـ مقالر دُول وكراشي ملك ، وقواعد حكومات ، تغير

إحداهن الشمس شبهة حيث وعظمة السنان ، حضرت  
الأهرام يومها وأمنها ، وشهدت مدبرهم وكانت رمسها ؛  
فاسأل ربك عودت أن يكفهم نحبها ؛

قال الخديعة

فطرفت أنوار في معاني هذه النكا الخواص ، وأنذر  
مداري هذه الحكمة الزوانع ، وأنا أستعرض كره الأرض  
في حارتي ، وأب صعدت البارحة في فكري ، فلا أجد  
أحد ، الأهرام مثلاً في وصفه لغيره ، من أن أخرجي  
من مغرافي بأن قال

أرى الخديعة ، حيث حيث حيث ، وفكرتي في  
أمدان الأروع كيف يوت ، فمن يك في كلك تمشك  
وعود في طيات ، ونزك الأهم في حال دهايا ، كيف  
يعقب الآلة من أحلقها وأراها .



قلت . لو كان فيها آلهة غير الله لمحدث . إني أراك

في صلاتك تعبد

قال قطعت حديثي لأمر لا يعين . لك ما تعبد ولي

ما أعبد . ولا إله إلا الله . وإن كان لك في

الصحة ولي ثلاث ألا تجوز الأمور على . وألا

تظن فيها تمضي عذمتك . وأن تحدها ولا تشك عن

أسباب . فهداه الله تخرج من العلم إلى الجهل . فكيف

تخرج من الجهل إلى علم .

قلت ذلك لك يا بشر الآخرة فاعرف أن الله عز وجل

قال . هيئ الزينة وحلن الزينة . وذهبت

ذو لهم . ونسيت قبورهم . وعرضت أثبت عرت عبيدهم على

الناس . وما تمهم يسكن معاشر المصريين قائم لا يهتدي .

وما تفقدكم منه إلا كالمعدة . تسكن ولا مع . وتندب

ولا حزن . ونهتف . لا تعرف من أخلاق الميت وصحته .  
 وسنه ساره في حاته . نحر حركم بالعظم الرميم ، ويتحلى  
 في حديثه بلحن قديم . وينز وهو غطال من العبي عديم .  
 يملح غيره من اليسارة والسيم . وإذا ذكر انصريون القدماء ،  
 رفتم الأوف للسماء ، ورعتم أنكم سلالة لمرأعة المظالم ،  
 دكم شارب وعرضكم على اماء . وإذا حرت أحاديث  
 العرب ، فتم هذا أقرب السب . ولا ، اركوا من حاسب ،  
 وما هو إلا سب قطعته . وبين ضيقتوه ، ولسان عربي  
 بالعجمة بعته . وإذا سمي حد الأنبياء ، وبواسطة عقد  
 الأبداء . كتم كلامك لاني اشرف . و ، حرج فقط حزي  
 من ذلك الصدق . وإذا نصر ترك في حرب ، وتركوا  
 دونا في اشرف والعرب كتم السوف والأكف والصر ،  
 وما دقم لها من حرب ولا كرب . وإذا مات ملك ليس

مكم ولستم مه . ولا تسأل عنكم ولا تسألوني عنه ، وحلف  
لهومه سيرة سر كالأمثل ، وحتى مصاحري لن تدد ولن  
سأل ، كنتم المؤيدين الشعراء بعينكم خدراث وعليكم الرثاء !  
قال احمد

وبينا أنا في الإصغاء ، آخذ احكمة اعزام عن آدم  
الشعراء ، إذ قطع الحديث وتكلم مفسكراً في كل ما هاج بي  
ذكره من قديم وحديث ، ثم صر في على أن التفتيه في متف  
أصيل أعد ، وبعد ساطره تقريب .

## المحادثة الثامنة

قال المحدث .

فأدلت للطاء ان قوم نشئ في حلوان . و أن كان  
 من به غرام . على مآزل الأرام . بسقت فنى إلى توت  
 الأحرام . وبعث عن يمين ن تفرق الأهرام . ثم حدثت  
 في صدرى هو احسن . واه . حطاب من الوسوس .  
 فتميت على فنة غير هذه الخنة . وأمت من حكام عصر بعد  
 مئة . أن يتحدوا من الأهرام مبر . للبر الأفعى الأكا .  
 ويدون فيها الخيل والعزير كاسيون في رعد و نار . أمة  
 إن شئت عنها صحافه . وبن شئت قل حديث حرافه  
 من لى أن تحسن الأعرام مة .  
 كاسيون لأهل المعص والمص

مفتوحة لوفود الأرض قاضية

يوورها الناس من شام ومن يمن

معين من الإحلال في حدث

مترجين من الإعظام في كهن

مطورة يمداد تشبه فوقه

تترجم ، نحن أسدوا من المن

تحدث ثم جلس الأمر فتم ، وأعلنت الحكومة

مشيئة فيه ، وصدر الأمر تدي به ، ولم يبق إلا العمل

بوجه ، أشتت الأعيرة الخفيفة ، في نبت الحجر

القديمة ، وأقيم الحراس على أبواب الأهرام ، وكتب على

مداخلها نساء الذهب لعصم الرجال شكر الآلهة ، وقيل

هذا المقبر فأبر الميث . . .

## قال المدهم

حطراتُ شاعر وأمية سلطان، من حصر دمه تحميمها  
 فليذكره، ومن علمها ولم يرها أن يرب من القول إلى العمل  
 فليمدده، ثم طعت نسي، فمت بعم "بال معطابما  
 وعدت من لقياء السر، كآب وعدت فلنكا كبرا فما  
 أصبح الصبح، قطعت من أرى متعللا حتى الأصيل، وأما  
 لا أدري ماذا غنى الممدد، أهدى العربة أم تبت المدينة؟  
 وهل موعدها من عيسى أم ميت رهبة؟ حتى إذا ذهب معظم  
 النهار، طوت إلى الليل أريد أنب أعده فوق ساريه من  
 معدية، فما شارقه رأيت ما فنت منه تديدا ونجدا،  
 رأيت شاطئين يتعايران وصفين مختلفان، هذه نوح  
 موحشة كأنها فير بمكاي قمر، أرض على الطبيعة، وفلاح  
 على العطرة، واحة غير مطلب، وذهب في غير مقعر،

ودرع للعلاج إيماناً ، وللأحر ثمراً ، وهذه نوح معالم  
 الغمران ، وتتجلى في رحارف الخصاره ، وتتدفق حياه ،  
 وتوثب وحداد فوقعت أنامل هذا المرأى السبع ،  
 ولأطراف العجب ، والمشهد السديع وأما أنهم الخيال ولا أنهم  
 الخس ، ولا أرقى منى من بحر أو قس ، وقد أنساق  
 الدهول ذكر ما وعدنى أن أرى ، أطر إلى الليل وأرى  
 الخواص تذهب مياهه من نكاز الدم لديه ، ويلاقى  
 الوراق عليه ، مشحونه بالصاعه ، مملوءه من الخماة ،  
 وكأما أطر إلى السبي أو الزون أو الدعاب : فذكرت  
 عند ما قاله : يلبون الخماة من جده في مصر - وقد مر بهم  
 فرأهم يطرور إلى النهر ، ومنهم يتسألون أهدا هو الليل  
 الذى تشب السكب المقدسة بذكره ، وتنازع الأحيال في  
 قدره ؟ إن السماع به خير من رقيقته - فاقترت منهم وقال :

إليه لا يغور السيل إلا حمسون عاماً، ثم يبدو لكم كما نصمه  
 الكتب المقدسة أو أحل افعلت في مصر . أنى رعم نابليون  
 أن مصر لا يفصها إلا القديين ولا نذ أب ناله على يد  
 العرفاويين أو غيرهم من لأمم المتقدمة ، فقد مرعانة عام  
 لا حمسون ، فما بالى أرى هذه الصفة بحالتها التي رآها  
 جود نابليون عليها ، وأرى لى هذه ديميا وفلكا كبيرا ؟  
 ويما أما فى التحيل تارة والنأقل تارة ، والنوم مرة والتبقر  
 كرة ، بصرت بزورق يقترب منى ، وبحرية عصية من المجتهدين  
 فى الرى المصرى القديم كما تمثلهم لسا الآثار ، وقد هض  
 فيه رحل كأنه المثال المصنوع روفاً واعتدالا ، وسكية

---

(١) أنشأ مؤلف هذه المحدثات - فيما رى - بين سنة

١٩٠٠ و ١٩٠١ وقد مضى يومه على القرو العربى أكثر  
 من مائة عام .



ومهاة ، وهو مكشوف الرأس ، لايس ثياب المصريين  
القدماء كذلك ، فأشفقت من رؤية الورق ورجاله لأول  
وهلة ، وتحمزت المطار . فصاح الرجل في يقول : إلى  
يا مهدد ، إنى أنا السر فلا تحف ولا تجزع !

قلت : وما بذلك يا مولاي ؟ وما هذه الحال ؟ وهنى  
جئت إليك ، فأبى تريد أن تجعلى ؟  
قال : تفنم ثم تكلم !

طرت من هوى إليه ، فتلف في بكما يديه . ثم دهنى  
فوق كتفه ، وقال هدا مكانك فاستقم فيه ، ولا تسكن من  
اللفف والانعاص فتؤدى

قلت : سمعاً وطاعة يا مولاي !  
وعند أشار إلى الملاحين أن يشواسا راحمين ،  
مسالت أيديهم بالورق في نهر سرى به الجلال ، وحط عليه

الجمال ، تتلاقى الدهر فيه كالخجل ، تنوء بالمصانع والعلال ،  
وتفيض من الرجال والأموال فأنت امرئ : لمن هذه  
الآرياح نامولاي ؟ لقد أذكرني كقول سليمان عليه السلام ،  
وحواربه انشأت في البحر كالأعلام ؟

قال هذه رعية مولانا الملك رمسيس ، تروح وتعدو  
من طيبة ومسيس ، باهضين بالمتاجر الجسيمة قائمين بالأعمال  
العظيمة ، تحرق السفن بهم ليل نهار بين شاطئين كلاهما  
محصن لرجال التجار ؟

قلت ، وإلى أين تمضي في الآن يا مولاي ؟  
فأجاب ألم أفل لك موعد ، صف ؟ وهاتين قادمون ،  
وهذه معانها تبدو وتظهر ، وتلك محالها تصي وترهر .  
فأحدثني انفسك ، وصحت الله أكبر !  
فأذكر امرئ عني صيحتي ، وقال ألم أؤدبك بالأمس ؟

ههلا داريقا في داره ، وأزميت في أرضا ؟

قلت : وما عسا كنت أقول يا مولاي ؟

قال : كان أولي ك أن قمكت ، أو أن تقول : الشمس

كبيرة وحبيدها رمسيس كبير

قلت : وأعود لئلا يامولاي ههلا لي أن أرى حميد

الشمس ذاك ؟

قال : سنراه وتسمعه ، ههلا تفحن ولا تؤدني بأسمك !

ثم استقر بنا الرورق ، ولبث أقداما مضيين ، فإذا بها

تخلت من الحاروف بكل هيس ، وتخلت تختل في حلال

البهاء وتميس ، حيث التفت رأيت حوئي عزاره وعمارة ،

وثروة وياراة ، وصانعة ونخارة ، وحماها وإمارد ، وجنود

المر والسحارة من كل ري وشارة ، فلم أتناك أن اغرورقت

عيدي بالدمع ، فالتفت الدر إلى وقال : أدمعة سرور

ومرح ، أم غيرة أسي وترج .

قلت : بل كلناهما يا مولاي ، فليس سري أن أرى هذا  
المجد لمصر أولاً ، لقد ساءني أني لا أراه لها أحيراً .

قال : لو أن فوق كل شبر من أرض مصر هدهداً يملؤه  
دمعاً لما أعي ذلك عنها شيئاً : فعليك «لتأفل والاستقرار ،  
فقبل البكاء والاشتكا . » و«تتصر والاعتصار ، فقبل  
التحيب والاستعبار !

فكمصكت دمي وقلت : لا يكونن إلا ما أمرت  
يا مولاي .

قال الهدهد :

ثم مررنا بهيكل يأخذ العين ويملك الشمس ويأمر  
الحماجر ، ويستوقف اللب قبل الناطر فتوجه المسر وجهته ،  
ثم دخل بين حراس ينحسون له تعظيماً وإجلالاً ، وكهناً

يُوهيه نحية واستقالا : وهذا جعل بطوف في حول  
 المواعد والآكاس ، ويرفع نهره إلى دعائم البلبس .  
 وينقل في من مكان إلى مكان ، ويذهب في صعداً وصفا .  
 في حجر عالية عاتية ، ومقاصير خالية من عيب خالية . منها  
 الداحي العظيم الخالك ، ونصها مؤر للشمس إليه مسالك .  
 وهو يقول هذا باني الهيكل الأثير ، بيت ( فتاح ) الإله  
 الأكبر ، حامي حتى هذه المدينة ، وملتسها الأمن وسعة  
 وريثة . تنقل معي من حجر إلى حجر ، ومن معي عن أثر  
 إلى أثر ، وأنهم انظر في هذه القوش والصور ، ترها في  
 صغار الجمل أدق من الحواطر والمسكر ، وما ضمنت في نور  
 الشمس ولا في صباه القمر . لكن في صوم مراح حليل  
 غير وهاج ، ثم تأمل في الحجر يحاسب الحجر ، كأنها واحد  
 انقسم على نفسه شطرين . انظر إلى هذه احوال كيف

قُطعت . وإلى الأساس كيف وصفت . وإلى العمدة كيف  
 رفعت . وإلى الحرف كيف جمع . هل ترى في جميع  
 ذلك إلا معرفة في العلم ، ودراية في الفن ، ومهارة في الصناعة ،  
 وغير إحكام في الصنع ، وإتقان في العمل ، ورغبة في التشييد ،  
 ومهمة عالية في الأمر ، ودكا فائق في الأمور ، وطاعة واحدة  
 لله على الرعايا ، وعدالة مفرصة للرعايا على الملوك ، وهذه  
 يا بني أسس الآداب ورؤوس الأخلاق ، وقوى الحياة في  
 الأمم ، وسر نجاح الشعوب  
 قال المدهد .

وكنت أراعي السر والمكر في أمرك ، أتمنى أراهم  
 مرة واحدة ، فاجئته بذلك . فغضب من هذه المعاجاة ،  
 وقال الملوك أيها المدهد في كل مكان من أعمالكم ،  
 إذا تدعوا حضرت ما نكرم ، وإذا احتجوا سقرت ما نحرّم ،

فحيث نقلت القدم في هذه العاصمة ، حدث عر المثلث عن الملك  
 ووصفته لك هذه الدولة الكبرى كانت نراه ، على أن  
 سأبيت سؤلك ، وأحملك من رمسيس بحيث تسع وترو ،  
 ولا تمنع على ، ولا تكن كمن يزورون الأمانة ولا أرب  
 لهم إلا حفلة السلام لك ، وإذا قصوا أربهم من حضورها  
 رجعوا إلى أوعاها من صيحين لم يملوا من أمره ذلك  
 الملك ، وعظمة ذلك السلطان

قلت : أريد منك أن أكف عن السؤار يا مولاي ،  
 قال : أسأل ما شئت إلا لصغار ، فإنها تقتل العوس ،  
 وتطعن نور العقول ، وما اشتغل بها شعب إلا هلك حياً ؛  
 إن رمسيس وسواها كمنع الأوجوه وحدها كسائر الأجسام  
 لكن إذا وقعت على شيء من دسطة مدكم وانزلت نصيبك  
 مهابة من سمة دولته ، ورأيت آثار نعمته على رعيته ،

ثم أميته هاديات ، لقيت إلهيا في رى إسان ، تنحسر في  
حده لته العيان ، ويحقق لأدنى لحظة منه الجنان .

قلت مررت في حيننا إلى الهيكل بعمار شتى ، وأبينة  
شيد ، وهياكل تعمير ، فكبت أرى العمال صدين ، والصابغ  
مرفين بخلهين ، فاشرف من الأعمال وكان للعقل والرأى  
معظم الأثر فيه . نولاه المصريون بأنفسهم ، وما نحن منها  
وكان شاقا يشترك فيه الساعد والجسم ، كعمل الطوب ،  
وحرّ الأثقال . قام به ضوائف من الناس ذرية أزيادهم ،  
مختلفة صورهم ، مسودة وجوههم ، من هؤلاء يا مولاي ؟  
قال غرره أسروا في الحروب وحى بهم إلى مصر ،  
فأرواحهم صاحبة ليدت ، يمت منها ما يشاء . ويسخر من  
استبقى فيما يشاء ، ويجود بعضهم على قواد جيوشه الذين  
جروا معه ثم الوقائع وشهدوا بحاجبيه المعارك والمعامع .



قلت : عجا لکم معشر الابیاء ، تطلعون هذه المذالغ من  
المدنية ، وتأخذون هذا الصيب من الخضارة ، ثم تقسو  
قلوبكم فهي كاللحجارة أو أشد قسوة ، فلو اطلع الإفرنج  
حلفاؤكم في الأرض اليوم على سيرتكم هذه في معاملة  
العريب والأسير . لا سکروها علیکم إسکارا ، ثم لَوَلُوا  
منکم فرارا .

قال : یبقی الحقیق ما بقی السیف : وليس ما سبت إلى  
أصحابك من الرحمة المتناهية ، وعَزَّوَتْ إلیهم من العسمة  
العالية ، إلا صلة من حلیک ، وقلة فی علیک . یسکرون علی  
ملوکنا أن یلعنوا من لیس من دینهم من الأمم ، وما أشبههم  
فی ذلك یأدوارد الساع ، یوم ذم المذهب الکاثولیکی بمسمع  
من الاشراف تُتَّاع هذا المذهب : یرموننا بعرض الکراهية  
للعريب واقتناء الحقد له ، ولنا فی ذلك أعذار مقبولة ، فما

نشأ في وجهه قط ، ولا استعما إليه مرة ، إلا طمع في ملكها  
وأفسد عليها أمرا ، على أنها على الأمم من بعد ما شرع  
الوطية ، وعرفهم كيف يطول عمر الدولة عند قوم ، وتمد  
برهة الحكم بينهم ، إذا هم اعتمدوا في جميع أمرهم على أنفسهم ،  
وصروا على يد الأجنبي أن تمت في شئونهم ، وأن ما لها  
للمرءاء في سوء المعاملة ، فلما من موقع البلادما انطيمى عند  
واضح ، فامصر إلا سهل سهل عزوه والإغارة عليه ، وواد  
مكتشف للأتصار الطامحة إياه ، فو لم يسهر عليه ما الساهرون  
لمسالبث في قبصنا طوال تلك القرون ، أما أسير الحرب  
عدما فأنشئ منه أسير الاستمرار عدم ، يروع لهم ويخصدون ،  
ويبنى لهم ويسكنون ، ويسهر عليهم ويسامون ، ويعتج لهم  
البلاد ويملكون ، وإلى نص هذا ينتهى الشقاء  
والصغار والهنون .

قلت . بكاء عليك يسع الأشياء كلها يا مولاي .  
 ولو علمت ما مر عليك رصيس من مواصلة العز ، ومباينة  
 العز ، والخروج من حرب والدخول في حرب . ومبراته  
 بين الملوك العارفين منهم والخاصين ما لا ترى أنصارهم حللها  
 مطرب . فهلا أقر السيف وحفر الدماء ، فقد ملك الأرض  
 فهو يريد أن يملك السماء !

قال سيف يا بني . على السيف والدون إذا كثرت  
 وعز مقامها وعادت وعرفت أجهاد والعود ، تحديها الخرص  
 على السماء ، وطعمت في المرید من الارتقاء ، محقة أن تقف  
 فيدركها اللاحقون . أو تهمل فيعزونها اساقون ؛ وقد  
 جرت العادة بين الناس أن الضعيف لا يزال يرى المعوي  
 بالعمى حتى يصير ذا قوة مثله بطنى مثل طغيانه ، والفقير  
 لا يزال يتهم العنى بالجشع حتى يثرى فيصبح هو الأجشع .

وليس ما نرى من رحمة الناس البوير وما تسمع من ذمهم  
 الإنكليز للمُعَمِّلين السيف في «وب أفريقيا منذ عامين» ،  
 إلا حسداً لا ينفع البوير ولا يصغر الإنكليز : ولو أن  
 إحدى الدول مكاهم ما كان شأنها إلا شأهم ، على أن الفتح  
 إذا نفع القاهر مرة ، نفع المهفور ألف مرة ، فرميس إنما  
 يُخرج الأمم من الطالبات إلى البور ، فيعك عقولهم من  
 عقابها ، ويشي نفوسهم من صلاحها . ولولا فصل المصريين  
 على أهل الأعصر الأول ، ما قامت الأحباش دولة ، ولا  
 اجتمع للبرانيين أمر ، ولا انعقد للأشوريين لواء : سري  
 نورم في الأمم المجاورة ، وامنت حياتهم إلى الشعوب  
 المعاصرة : وهكذا سنة الدهر في الناس : أواخر يرون  
 الأول ، ودول نبى أفاض دول ...

قال المدهد :

تعدت مقالة السر في نفسي ، كأنها لفظ الشفاء على  
لسان طبيب ، وقلت : لقد أحرحتني من بأسى يامولاي .  
وعنتني من مستقل مصر عالم أكر أعلم !

شهد بشارور وقال تجمع كل أمة حوامع شتى من لغة  
ودين وجلس ، وأمل ويأس ، وسراء وعسراء ، وأنهم  
لا يعرفون غير جامعة الموت تجمع الأعداء ...

ثم قطع الحديث وقال . هذا شيء تتحدث فيه بعد ،  
فلحق فيما نحن فيه من احتلاء الماطر والمشاهد ، وما حده  
المعالم والمعاهد .

قلت : ذلك أنفع لي يامولاي . فما هذا التمثال القائم  
بين مقاصير الآفة من الهيكل ، وبين مجلس الملك ومصب  
عرشه مه : إني أراه كعون بن عتق في صحابته التي يزعمون !

فثنى السر إلى الخيال وجثا لديه ، ثم نهض وقال . فرع  
الملك من حروبه التي تسير كالأمثال ، وأمس تحوم بمساركة .  
وأحد بالثقة من المستمرات الواسعة ، وهرق جيوشه في  
البسيطة يعززون فيها آية الملك ويحمون أطرافها ، وأصبح  
من ثبوت الديال ، واستقامة الأمر في يده ، بحيث قلت  
في وصفه ومدحه :

رئيس باملك الديار وواحدها  
وأنشعة النور وأن الكوكب لأحد  
الشمس مثلك بعد اليوم لا ولدت  
والشمس مثلك قبل اليوم لم ندر  
باب تكن في سرير المجد عائدة  
بنت عرشك مرفوع إلى الأبد  
... حتى إذا فرغ من تشيد مملكته والاحتياط

لحماطها ، وجعلها بنّام من الخساد والأعداء ، ففكر فيما  
يُحْدِثُ اسمُه ، ويؤثّرُ ذكره ، ويكفّلُ لاريحه الدوام ، فبنى  
امدائن ، وأنشأ في كل واحد منها هيكلًا خاصًا يُلَبِّسُ أهلها  
أنسى يعدون . وسير هذا الهيكل القديم بالأعمدة إلى  
تراها محيطة به . وليس أنعم ولا أصح ولا أحل في الآعين  
مها . أمر أن تصع صورته منقطة وتُحْمَلُ في الهيكل ، فعمل له  
هذا التمثال وطوله ثلاثون ذراعًا ، وهو من عمل الأسرى  
وحدهم ، وقد غنى الملك بأمر ذلك . مرغب أن يُسَكِّتَ أنه  
دلم يعمل مصري في هذا التمثال .

قلت وفيه هذا التبرؤ يا مولاي ، ولو أنه من صنع  
المصريين لكان بالملك نبيق . وسكاوا به أحق ؟

قال إن رجلا رفع أكبر دولة في الأرض ، وبقي  
أربعين أمة ، ويضع حدود مملكته أنى شاء ، لا يؤخذ

بكيرة ، فكيف يلتفت في صغيرة !

قلت . لآنت في دفاعك هذا عن الملك أشعر منك

في مدحه !

قال : إنما أدبت بعض حقه .

وها غلب العاص على السر ، فحمل موعد المدهد

ميدان الملك في أصيل العد .

---



## المحادثة الثالثة

قال الهدهد .

كنت في صدوري عن ميت رهينة تحت سماء الليل ،  
أنظر قلة الرسوم لديها ، وأرى ندور الأطلال عليها ،  
وما هي إلا مقابر بعض الملوك ، ومدفن العجل أيس ، وذلك  
انتمثال في حفرة التي تنزل به عن سطع الأرض بقدر  
ما جرى الدهر على مفيس في مالف الأحقاب ، وما عقدت  
سباك خيله عليها من متراكم الحصى والتراب : فأعجب له  
كيف لم يبق من حواء العواصم غير بقية لا تذكر في جاب  
ما رأيتها عليه من السعة المتناهية ، والمطعمة الحمة ، والعمارة  
المدهشة ؛ وتبصرت ملياً في السبب ، فلم أر الداء إلا موقعها  
الذي عرضها في كل زمان للقيصان يعلوها ، وأسلها إلى



ويحاطموك راغبين إلى ثوابك عن عقابك  
أرى رمسيس السلي وهو يه رمس هوى بك  
وقصار خطك عددى نظير يباع فى حطان  
عائك أحداث الرمان فمكت أكل عدد عاك  
وحصر فى شأن هذا الأثر شئ من قبيل ما مر بالمكر  
شأن الأهرام ، فأملت من جهة أن يشط للمصريون يوما  
لشبيد سائه ، ونكالة أعضائه ، وتحديد حسه وروائه ،  
عام يفصون بهذا العمل الخليل ، حتى خير ملك الخير  
جبل ، رأى وادى النيل ، وتميت من جهة أخرى أن نقش  
التمثيل فى مصر ، لأن فيها بعض المكافأة لمن سلف ، وتعظيم  
شأن الخيبة فى نفس الخلف ، ثم فكرت فى رجل عظيم  
القدر جليل المقام ، حظير الشأن فى صحائف الأيام ، لاصحف  
الأقوام تصي مراياه ثابا التاريخ ، وترفعه أعماله فوق

البرجاس والمريح ! إذ مات رشحته الأمة المصرية ، ليثيل  
بالحجارة الأبدية ، وييجل بالكلمات الذهبية : فارال بي الوم  
والخيال ، حتى وجدت طلبتي في الرجال ، ولم يبق إلا عمل  
النمّال ، فقلت حينئذ في نفسي . أين من يصعده ، وأين آلات  
ترفعه ؟ وكنت خرجت من أحلامي في المدينة العابرة ،  
وطعت مقامي في ضواحي القاهرة ، فمت أطلب الممام .  
أصل الأحلام بالأحلام ، حتى إذا طلع العجور ، انتهت  
أشواق ما كنت إلى السر ، يطول النهار ولا صبر ، كأن  
إحدى ساعاته شهر ! ومال لا أشتاق معلمي الحكمة في  
الحديث ، وملهمي القديم من العلم والحديث ، وممثل الحقيقة  
في حسي ، وكنت أجهلها في أمسي ، أو أعاطق فيها نفسي  
ولما جاء الأصيل . هجت إلى شاطئ النيل ، فوجدته كما عهدته ،  
والهيت الحال ، مارال : صفرت مدينة وكبرت مدينة ،

، عطلت ضفّة وصَفَّتْ على احتها الزينة : فاطمأن قلبي وفلت :  
 صدق انسر وعدا ، وعمدت لأقرب الروارق الحاصرة ،  
 وهي كالعرائس في الليل عاطرة ، بعضها في حينة وذهاب ،  
 ومنها المتساق في كل منساب ، الأحد بأبواب الرباصات  
 والألعاب ، حتى خُبل لي أمه التامير ، أو أنى لدى السين في  
 ماربز ، فطرت إليه وأما أحسب أن سأجد سارية أحط  
 عليها ، وأستند في وفوعى إليها : فوجدت حراء من يقبل  
 قدمه ولا يبصر قدمه ، إدعاق جناحي ، فالتفت فإذا أنا في  
 يد رجل تعلوه كبرة وقرة ، وبصرت لونه إلى الصفرة ،  
 وعليه ثياب مرر كشة من فميم الكتان ، وقد جلس أمامه  
 غلام من أوسم ما استخدم الكبراء ، فقلّنى قليلا ، ثم دفننى  
 إلى ذلك العلام ، وقال هذه طليتنا ، ساقها الآلهة إليها :  
 فتحفظ عليها ، فقد تغاللت أن شعائى فيها : ما زال طيب

الرأس بجمل على طيب الأحياء ، وهذا يرشدني إلى الطيب  
الروحي ، وهو يرى دوائ في مسألة الهياكل ، وقد أعيت  
الجميع علي ، حتى وصف لنا مصحك ( أوتا ) الذي اشتهر  
بصدق تحريبه ، على قصر قامه وتشويه حلقته ، أس  
رأس الهدد إذا تحق ، وأصيف إليه فلامنة من حمار البغل ،  
ومرح هذان بشي ، من نغم التحرير المدبوح قرانا  
لأوريس الإله والفن في ليلة تسمه ، ثم تناولت كل يوم  
حمة من هذا التركيب ، فقد بهمني ذلك في علي أي حارت  
فيها المفاهيم ، وعمر عنها الأصدا

قال الهدد :

فما استقر الرجل حتى دحمت من الدعر بعير مديه  
وقلت في دمي ، مدي حتى يخطئ رأسي حمار البوم ونغم  
التحرير ، وليس أحقر من هذين ! فجعلت أمكر في حيلة

ته في من هذه ابيّة الشريعة . رأيت أن أضيق من الامير  
استطاع الامر فبصرت . ففعلت ، وهذا أن طيق الجراح  
أصه . وصرت تحتى هرأيت الزجل يشه نحوى براحيه .  
كأنه يستعير في أو يستعير في . والرووي بكاد يفلت من  
فيه من هول ما وحاً رحله من أمرى وشهدوا من حالى  
مع ولأعم . فصحككت من رؤيتهم على هذا الحال . وارتفعت  
لالمطار حتى حارتني المدينة . فحلب أخط ناره فوق حدار .  
وأشتر أخرى في الأثجار . وأسفل من حانوت إلى دار .  
وأما في هذه الأثناء أخط بحمل الاحوال . وأرود من  
اندبه نظرة عامة . فرأت حركة لم أر مثلاً فيها غير .  
وشهدت من — ظلمة ما يصغر المادان أكثر شوارع  
وسبعة . ودور ربيعة . وحدائق بدعة . وحمام مدافعة .  
وشرعة مدّة متفرقة . وحيل مركوبة . ومركبات محرورة .

ومحارن تعيض من صوف المتاجر ، وحواييت لا تحصى  
لديها صروب الصائغ ، وكان من أعجب ما رأت العيان ،  
أنس الحيوان إلى الإنسان ، وأطمئنان الطير إليه في كل  
مكان ، تمشي بجناحه آمنة ، وتوثب حوله مطامنة ، وأعجبها  
الكراكي ، رأيتها تألف الأهل وكنت أطها لا تُستأس ؛  
ورأيت نساء العاقبة يعملن أحجامهن على الأكراف ، ويعملها  
رجالهن فوق الرؤوس ؛ وتجلس المرأة ثوباً واحداً ، ويابس  
الرجل ثوبين ؛ وقد ديهشت من توحيد الري عند انقواء ،  
وإشراقهم من اللباس الكتان أو الصوف ، واختيارهم من  
الألوان الأبيض ، مع نطافة نصرت بها الأمثال ، فكأنما  
كملت الجوامع فيهم حتى هذه ؛ ونعيتهم في الطريق أن يفصى  
أحدهم يمتناه إلى الأرض ؛ وإذا عارض كبيرهم صغيرهم  
نحى حتى يذهب ، وإذا مرّ به وهو جالس قام له حتى يبرز .



ورأيت جميع الحيوان في الطريق إلا الخنزير ، ثم عرفت  
السبب انما قال ، وذلك أني تصرفت بزحام ، فافترمت منه .  
فعدت من تساؤل الناس أن أحدهم تمنح به حبرير ، فهم  
يسوقونه إلى النهر ليمس فيه بجميع ثيابه ، وهم يعتقدون  
أنه لا يظهر بدون ذلك ، فريت في نفسي لحاله ، وضحكت  
من أمر هذه العادة : ثم احتواني ميدان عظيم ، ينحصر  
انحرف في جوابه ، ولا تحيط اليه بأطرافه : فابتعدت  
باستقباله ، وقلت : لعله ميدان الملك ، ولعل الملقى قريب !  
وفي الواقع كان الأستاذ بتاور أول إنسان وقع نظري عليه .  
رأيت يشير بوجهه المتأمل نحو السماء ، وكأنما يفكر عنى  
الجوواء ، ويتشددنى في طبقات الهواء : فلما أخذنى بصره ،  
رفع يده يستترانى ، فهاطت فيها ، ثم وثبت منها إلى كتفه ،  
منعصاً من التأنس والخبور ، مرفقاً من غلب السرور :

فسأني عن أمري ، وما لقيت من وحدث في رحلتى ، فحدثته  
حديثي أوله وآخره ، فضحك من حادثة الزورق وقال : تلك  
وحدة لم يكر لك عنها عتي وأنت في أول أيامك بهذه  
المدينة ، لأن أردت أن تجمع في حكمتك عليهم ما تسمع  
منى وما تراه في حاسة نفسك ، من أحوال أهلها وأطوارهم ،  
وأخلاقهم وعاداتهم ، فما رأيك في ذلك المارص ؟ قالت  
أحق حاهن يا مولاي ، وأصنؤكم أحمق منه وأجهل ؛ وإنى  
لأعجب منهم كيف يلعبون في الطرب إجارة الحسد من  
الفساد ، وحققه من البلى على مدى الآباد ، ثم يربلون إلى  
الأيان بالرفق والطلاسم ، واعتقدتم أن رأس الهدد وحافر  
العمل من العفة خير النافعة في بعض الأدواء . قال : الخرافات  
يا بنى وجدت مع الإنسان منذ البداية . وسوف تصحبه إلى  
الآخرة ، ولو بلغ من المدينة أقصى غاية ؛ وأطلك عهدت ناريز

لا تخلو منها ، وهي فيما يزعمون عاصمة الدواصم ، وكبرسى  
 تمدن العالم اقلت : كذاك هي بامر لاى . قال : لكن دلا  
 أحدث من عبارة المربص أن الأخطاء فى مفسد صروب ،  
 وأن ورع الأعمال قاعدة التطيب بهم ، وهذا للرأس ،  
 ودك للطن ، وآخر للأمراض المين ، ورابع ذروا  
 الأدن ، كل على قدر اجتمده فى المرح ادى وقف معه  
 عليه . وهذا ما صار إليه الطاب أخير عند العربيين ، وهم  
 يعتقدون أن ذلك بداية الجراح الحقيقى ، ومناعة عصر لا يوم  
 الطيبة لا يقف اربعة وها فيه عدد حذو لو لم يكن من فصل  
 أطبنا الحق الجهلاء . سوى أن اقوم أحدوا عنهم هذا المبدأ  
 الجليل ، لكنى . على أمى عالم أن طلب لم يفتد فى هذه  
 العاصمة التقدم اللانى يمر بها فى الحضارة ، الجدر عميلها  
 فى المدينة : ولهذا الأمر أسباب ، أهمها هذه الأمراض فى

هذه الأمة ، لأنهم من جهة يعشون بأمر نظافة الأبدان  
والملابس ، إذ من عاداتهم أن يغتسل واحدكم ثلاث مرات  
باليوم ومرتين بالليل ، فتلهم كالمثقيين منكم معشر المسلمين ،  
الذين يتوضئون خمس مرات في اليوم : ومن جهة أخرى  
لأنهم في الغالب رجال عمل ونهوض وحركة : وإذا كان  
النشاط في الطاع ، سدت الجسوم من الأوجاع : وبديهي  
أن توسيع العلوم يكون بقدر الحاجة إليها ، فإذا عظمت  
عظم الاشتغال بها ، وكثر الاختراع فيها ، وإذا قلت قلت :  
وأكبر برهان على ذلك ما أشرت إليه من بلوغنا الدرجة  
القصوى في التحيط والتصير ، فلو لا اعتقاد الأفراد أن  
الأجسام بعد الموت مقدسة لا ينبغي أن يصل إليها الفساد ،  
لما احتد الأطناء المختصون بهذا الفن فيما يمارسون من  
جليه وحقيقه ، حتى بلغوا فيه إلى درجة الإعجاز ، متدافعين

برغبة الكافة ، مبين ما يدى الحاجة العاقبة : وما يقال عن  
 التبعيض يقال كذلك عن فن العمارة والإشياء ، فليس السبب  
 في رفقه يئسا هذا الرقى المعجز الباهر ، إلا مبالغة المصريين  
 منذ القدم في قيمة الآلهة وتصورهم إياهم في منتهى العظمة  
 المؤنثة الأزلية . فلا يرفعون لهم من الهياكل إلا ما يليق  
 بمقامهم هذا ويسكنونه إلى الأبد . على أنك لو قست دور  
 الآلهة من جميع الطبقات ، وما رأيتها عليه من البساطة  
 والاقتصاد في البناء . بالهياكل وما شهدت من تخامتها ،  
 واجتليت من رحارتها . لعلمت أن دعواى مريحة من نفسها ،  
 ولا يست أن قصور المصريين في الطب لم يكن عن جهل  
 وقلة ذكاء ، لكن عن عدم حاجة ماسة وطة اعتناء .

قلت : صدق مولاي وأفاد ، لكن هذا ميدان الملك ،  
 فأين قصره ؟

قال تطل تعلم بالملك ! وقد أكرمتني أن لي كلمة أقولها  
صانع الخاص وأمر حديثه . فبدأ به الآن .  
فنت . الأمر إليك يا مولاي .

فثنى السر وأما فوق كفه . حتى مر من محلات صني  
المدح . يرى المظفر . فربأته به . لولوح فلفل نعلك  
صان يا مولاي . فثن هذا الخاتوت لا يكون لصانع الملك !  
قال : بل اصل أنت يا كثير العجالة !

فخرست ودخل الأستاذ . لحق لاستغفاله رحلا  
كهو و غلام . وكانا ساعة دحو ليا متقابلين على مهلة للعمل .  
مكتفين على الذهب يمرعاه ثم يصوعانه . فحيأه حق تحبته .  
ثم عادا إلى العمل وأحذا عما كانا به . وعندئذ قال الرجل  
للأستاذ : أنا أدن يا مولاي أن أنتم حديثي مع هذا العلام .  
ثم أتلقى أوامرك ؟ فأجابه اعمل . فلا تذكره أن نشاطه

المائدة ، فادفع الرجل يقول : اعطى بى أنى الأمانة رأس  
 مال تتجر ، وهى والإيمان دلاهما رأس مال الصانع . وقد  
 صفة تهما على عادة مند ما رست هذه الصناعة ، فلم أكلّف عملا  
 إلا أن استجملت قواى لنحويده وإحكامه ، وفكرت فى  
 إيمانه قل الفكر فى إيمانه ، حين بدا نقص بعد ذلك برأت  
 نصى وفلت على بذل الجهد وليس على أحد المنحيين .  
 وكنت فى بدء فماضى هذه الحرفة ماعداً لمحب الحفظة  
 أستاذى الذى انقل إلى الدور الأبدية ، فعدت منه بحجة  
 العمل والإخلاص فيه وبذل الجهد فى إتقائه ، وهو الذى  
 ذهب نأوت انت سبى والد حلاله الملك ، ونقشه فأدع  
 نفسه ، وكان أحرقه عن ذلك مائة قلادة من الذهب . خرجت  
 إليه من الحزائر السلطانية ، فهنته يومئذ بما مال من جسيم  
 الرخ ، فكان جوابه لى اعلم أنه لو عرضت على حزائن

الملك حمقاء وأما في العمل أصبح التناوت ، لما أغرتها نظرا :  
لأن رحوت أن يقال : من الساعة ، شرفها يوم هوب  
من الحدة ، فوعيت هذه النصيحة كما يوعى الوحى الآتى  
من جانب الآخرة ، وما أبا أبدلها لك كما كنت لى  
من قبل فكانت أصل سعادتى ، ومر نحاسى ، والسبب  
فى تحصيل هذه الثروة الطيبة ، وإرثاى فى عصر هذه  
المزلة العظيمة .

قال المدهد :

وكان الرجل يفتن الصناع بتبيده وكأها فلا تد بصوعها ،  
وشامور يشام ويتحلى ، خشيت أن يحول يومه الممهور ،  
دوب سماعى مقالة الصناع إلى آخرها ، فكان ما حدث أن  
يكون ، وغلب على الأمر الناس ، فقال لى بلسان متلثم  
إذا جاء الليل نامت الشياطين ، فارجع إلى عشك الآن



والقنى غداً في هذا الخاوت .

قال الهمد :

لم يكن إلا إعماءة ، حتى رأيت نفسي فوق سطح بيت

العمدة في ميت رهبة ، فاستعذب باله ، وأفلعت من هوى

للطير أن ، أؤم عني في حواء .

## المحادثة الرابعة

قال المحدث :

وكان المد ، فأصبحت فيما أمسيت فيه ، أهو إلى السر  
ولا أعطي عنه صبرا ، والنفس إلى ما يشغلها شبة ولعة ،  
فصارلت رهن أحوال ، وحار عيش وأشغال ، حتى رُبِيت  
السماء الدنيا بالآصال ؛ وإذا أنا من جُؤجؤى في سقية عند  
دأماء ، وهي تجري في بحر ولا ماء ، من مذاهب السماء ،  
دقها ريشتان ، وشراعها جاحان ، فاستوت على ما وراء  
الهر ، وإني لفي الخائوت كأن لم أبرحه ، أرائي فوق كعب  
السر ، أنظر إلى الصانع والعلام ، وكان مامرة فة من حلم .  
إذ الحديث متصل ، والصانع يقول : هذا يا بني صاحب  
المرك وشاعره ، وبوقه في العزاة ، وصله في القلة ، وداعيه

في الأمة ، وآية ملكة في الأولين ، وحديثه من بعده في  
الآخرين ، أوفده حفيد السموات ، وشعاع الشمس في  
الحجرات ، رسالة عملتُ بها قبل أن تبلغ إلى .

ثم التفت إلى بتامور وسأله قائلاً : أليس أمر الملك  
بامولاي أن تُنقش على الفلاند الثلاثُ صُورُهُ الثلاث : يوم  
قدم طيبة طمرا ، ويوم صلى صلاة الطفر في هيكلها ، ويوم  
المهرجان ، وكانت إشارة الساقية أن تنضم الصور الثلاث  
حلت على الأعداء في آتيش ، ودحولة المدينة فاتحا ، وجلوسه  
لملكها ومتر فيها يأمره أدلة صاعرين ؟

قال : في هذا جنت : فلعن إنسانا جاءك به علي .

فتبسم الصائم حينئذ وقال : إنه ليس إنسانا ، إنه أدراك  
بذاته ، أشرف هذا الخانوت سورهُ ، وكأني به قائم عند رأسي  
يقول : اصبر كيت ، وافعل كيت ، وأما جالس كأما الآن ،

أحدثه كما أحدثك : ثم مشى تطله السماء ، وتحرمه عين دُكاه .  
قال المدهد .

فدهشت مما سمعت ، وودت لو كنت حاصراً في تلك  
الساعة ، أرى الملك وأسمع حديثه : وتحرم الغلام كذلك  
وسأل أستاذه قائلاً : وأين كنت يا مولاي عند ما تقدس  
هذا المكان بالملك ؟ قال : كنت في إصصك لم تقعد بعد إلى  
العمل فلم أشأ أن يخطبك أن تعلم أن ملك الملوك سخطك إلى  
حاروب أنت فيه حتى تهلم صاعته !

خرس الغلام وتلذذ ألواناً من الحجل !

ثم قال الصانع مخاطب الأستاذ ليس العجب يا مولاي  
أن سمى الملك إلى عبده ، فإن دأبه الأحاد بيد العاملين ،  
فكيف يعاده المخلصين أمثال ؟ على أن كبار الملوك  
يتذكرون لأخذ الحكمة التي لا تقعد على الملوك جميعهم ،

وطلب الحقيقة التي لا تلح عليهم أبوانهم ، كما يتسكر صدارهم  
 ليردادوا من الصغار : لكن العجب كل العجب أن يأميني  
 الحديث قد أليت العمل بأمره الأول قبل أن يقصه ، وعلمت  
 بما جاء من أجله قبل أن أعلم به أمهته ربيما نكلم وأشار  
 وأمر ، ثم كشفت عن العلانية عيبه ، فاستغرب الزمير  
 ومأل عن السب ، فقلت له العلاند يا مولاي الملك  
 الصغرى وهي ملك آتش الذي كان عزيزاً فأدانه ،  
 وملكاً فاستمكت ثم صاهرت ، وأتت تحبها وتفضلها في هوى  
 الملك على سائر نسائه ، ولحسن مرشد تجعله في جيدها ،  
 أحب إليها من فلانك التي تذكرها فمثل قومها ودلأها .  
 فسر الحديث بما قلت له ، وأقرني على ما أحدث به من  
 الحال ، وقال : بحق العرو والملك ، وقد بلغ ما معشر الملوك  
 حتى دس إلى أنزال الناس عليها ونحن نحسب أنها نحسب إليه .

قال المدهد :

ثم ودّع الأستاذ الصانع وخرج ، وأن أفعى العجب  
بما سمعت ورأيت ولا أستطيع مع الأستاذ صبرا ، ولما  
صار وحده قلت : حملت أشياء وعاب على شيء واحد  
يامولاي . قال . وما ذاك ؟ قلت : إبعاد الملك إليك في أمر  
سقت به كلته للصانع ! فتبسم ثم قال : هذا من ناديب  
رمسيس صحاته لكيلا يطعموا : يعلمنا أن له جسداً وقدمين  
ولساناً وعينين ، وأن بين عمر العامة والهيبة الخاصة عن  
لا يجوزهم مجلسه ، من يليق أن يسمى الملوك إليه ويأحدوا  
الحكمة عنه اقلت : تطل نشوقى إليه ، فهل أنى أن أراه  
أم لم يت يامولاي ؟ قال : لكل شيء عيقات ، وليس هذا  
وقت رؤية الملك ، فاصبر متى أو انقلب إلى عشك حادلا  
محروما ! فاستعنت الله على الأستاذ في نفسي ، ولدت

بالصبر في أمري .

وطفق يحوب في الطرق ، وبحول في الأثرة ، حتى  
حرحا إلى بناء رفيع ، فوق طريق وسيع قصد الأستاذ  
قصده ، فسأته : ماهذه الدار يا مولاي ؟ ولمن ؟ قال هذه  
يا بني شمس النهار . وعشرون الأوار ، ومهبط الحكمة  
والأسرار ، ونقطة تلاقى العقول الكبار ، دار الأدب  
والعلمة ، أسسها على مثال الدار الكبرى في طية ، وكما  
أربعة ، فلم يهض عليها عشرون عاما حتى تمت ورثت ،  
وتجعت ورقت ، وأصبحت من تعدد الأساتذة ونكاثرت  
انطلاقات ونهايات المستفيدين من الأجاب علماء وفلاسفة ،  
بحيث تصارع أحتها في طية ، ويميرها أن ليس لملك ولا  
لحكومة ولا للكهنة يد في التأسيس ، ولا سدين على  
التدريس ، وأما خراس الأمراء وإحدى مهمهم : منظر

إلى الكني كيم بنى من القليل . ومن عيهمون أمر هذه  
 امر أن وزير الخزانة السلطانية لما سمع بها وزارها وهي  
 في أمائها الأولى ، كتب لها صكاً بربع ثروته الواسعة ،  
 فبقي ذلك في حياته وبعد مماته ، ثم مات وانتقلت روحه  
 الكريمه إلى المغرب ' ' ، وكان قد أوحى ولديه فيها ، ولا  
 رأس الملك يبنى ، ما رأيت أن يحب فيها ، ولا أحب للأعم ،  
 ' ' أصبر على تحصيله ، ولا أصعب للعايات فيه . إذا دُكر  
 في الملك في مجلس من حكامها وأئمة علمها ، وسمع  
 ' ' اسمر فيها ، فليست أياهم يرد إلى الحياة ليطرق كيف  
 تجري أمياه المحسنين ، وتعمل عماديوهم من بعدهم أميناً  
 قلت : سعداء أتم معشر الآباء . انفق أربعة مكم

---

(١) كانوا يعتقدون أن الروح بعد مفارقة البدن تذهب إلى  
 حيث تغرب الشمس .



ولن يتفق اثنان صا ، وبذل أحدكم ربع ماله في البر ولن  
يتفق أحدا دخل عام واحد في صالح الأعمال ؛ ونحن الذين  
قال بعضهم فيها ، اتفقوا على أن لا يتفقوا " .

فأحفظت عبارتي الأستاذ ، وقال : ما هذا السمع في الاسم ؟  
ومن ذلك الذي يشغل الهمم ! هذا ومثله أيها الهدد من  
الأوهام ، وإيها لحواس العقول فتعقلها ، وتداحل البدو من  
فتنتها الأوهام داء الأمم ، وميتة الشعوب ، إذا تمسكت  
من قوم كانت كأمس في الأساس ، وكانسار في الشعار ،  
وكانسار في الحاق ، وكانسار في قلب . لا يتحقق منها إلا إلى  
حين . ومن تبالغ بكسب الدنيا على لشرق الحاضر تباع هذا  
الداء فيه : حكومته دوليت تدور بالأوهام ، وبنده عموده  
ما بين السماكين من الأوهام ، وأمه نروح وتعدو حيث

(١) تدب هذه الكلمة إلى السيد جمال الدين الافندي

تجعلها الأوهام . نظر الواحد منهم في الأمور عرساً وبمين  
غيره ، وحكمه فيها عن الهوى ، وانصياده في إرادتها  
وإصدارها بأرقة الأوهام . قال لكم رحل قولا فوهمتم فتتم  
أحياء . ليس مع السلوة عيش ، ولا مع القنوط عمل ، ولا  
مع اليأس حياة ؛ وليس أجلب للشر والضر من الدعوة إلى  
الربوض ، وتوهمين العرائم ، وإمالة القلوب ، وإحراج  
النفوس من الرجاء إلى اليأس الذي هو الموت في أشنع  
صوره وأقبح أحواله .

قلت : الأوهام يا مولاي داء الأمل مد القدم ، لم تحل  
مما أفة حالية ، وإن تحلو منها أفة آتية ؛ فما بالك تلمها  
فريقاً دون فريق ، وتسكرها على قوم ولا تسكرها  
على آخرين ؟

قال : خلق الإنسان من ضعف ، فكان الهم أول دين

دان به ، وأول حكومة دان لها ، وأول شيطان سكن إليه .  
 كان على وجه الدهر يستقبل المجنّيات ويتحدّ منها آلهة  
 يسجد لها . ولا يرال آخر الدهر يتوجه إليها بالتأليه  
 والتقديس والتعريف ، وإذا عند الله كما تمسونه أتم والنصارى  
 واليهود ، كان لله الشطر من تلك العبادة وللأوهام الشطر ؛  
 فالمسيحي 'بيلي الحديد في كنيسة القديس بطرس بروما استلما  
 وتقبلا ، كما بصع المسلم حذه في غيب الأصرحة بالقاهرة  
 تمسحاً وتأميلاً وتعطياً وتجيلاً . وكان في شبيبة الدهر يؤله  
 الجبارة من البشر أمثاله ، ويحكمهم في عرصه ودمه وماله ؛  
 ولا يرال معظم الخلق حتى الآن عباداً لملوك بأتونهم  
 طائنين ، غرم الناح ، وخذعهم العرش ، وغشهم الحجاب ،  
 وصلاتهم الاستبداد ؛ فالسلطان في الأصل للوهم لا للسلطين ،  
 وحقيقة الطاعة له لا للمالكين . وكان الوهم أول شيطان

سكن إليه الإنسان ، تولد منه يقيه ، ونشأ عنه عليه ،  
وحررت عليه أموره ، وابنى عليه حكمه ، وتألف منه مألوف  
عاداه ، يحتر به ويشمر ، ويسمع به ويسمر ، ويعجز به  
ويقدر ، وبه يعيش وعليه يموت . حلت آلاف من السنين ،  
وحاصر ابعل في مصر حاصر المل فيها ، يمسح في وهم بعض  
الناس من بعض الملل ، ويشق من بعض الأمراض .  
ومضت مئات من الفرون واميت في مصر بحر آخر الدهر  
كما كان بحر أوله ؛ فلورفع الصليب من حجارة قطبية ،  
وصلى القرآن عن أن يرتله الحمل في حجارة مسلية ،  
لخيل لك أنها جازاة ميت ما معشر افندماء : رسوم  
احمال ، وقربان ، وأكل ، وحنو زاب ، وشق جيوب ،  
وولولة ساء ، وعويل عميد وإماء ، وندب الميت ونعت  
بكيت وكيت : والأوهام يابنى كما قلت لا تخلو منها الأمم

الكبيرة والشعوب الحية ، إلا أنها تقف حينئذ حيث العاقبة  
لا تجاورها إلى الخاصة ، إلا ما بدر : كما أنها تتملك الأمم  
الصغيرة والشعوب المحطية . ويكون للخاصة منها من حط  
العاقبة : وهما عظيم العلوى ، ومنتهى سكد الدنيا . أليس من  
الوهم القاتل للأفئدة ، المصيب للقلوب ، أن يصح في أدهان  
خاصة المصريين من أمراء وعظماء ، وأدباء وعلماء ، أنهم أئمة  
ليس فيهم قَلَّاح . ولا يرحى في أمرهم صلاح . وأن انصافهم  
سابع الجهات ، ورائع المستحيلات ، وأن الوطن ميت  
وأهم ميتون . وما أشبه ذلك من الدعاوى ساطلة التي  
لا تنطق على بواقي الوجود ولا تزد إلى أحوال البشر  
وحوادث تاريخ . الأمم يأسى لا تموت ، وإن بدت عليها  
دلائل الموت في أرملة الاصمحلل فما نلك إلا نؤسى  
نزول ، وحال ستحول . الأمة تصح ثم تغفل ثم تصح :

تجئد من حيث تبلى ، وتقوم من حيث تسقط ، وتصح  
بالعلل . هذه اليابان . هل كان في حساب أحد أن تضم  
صوتها يوماً ما إلى أصوات دول الغرب في مسألة من أكبر  
مسائل العصر ، وتقطع مع الممالك الطامعة ، وتسير الجيوش  
في البر ، وتخرج الأساطيل في البحر ؛ وقد كانت وأنت في  
زمن الدراسة لا يُذكر اسمها إلا مقروماً باسم الصين ،  
عنوان الهدجية ، ومثال التوحش ، والمشي به إذا ذكر التأخر  
والانحطاط <sup>(١)</sup> . وعرض على المسيو تير من الوريير  
الفرنساوي المشهور ، مشروع برادته إنشاء السكة الحديدية  
في فرنسا ، فسخر منه علامة في المجلس ، وعده ضرباً من  
الهديان : ثم لم يمض نصف قرن على ذلك حتى أصبحت

---

(١) أنشأ شوقي - رحمه الله - هذا الكتاب في أول هذا  
القرن ؛ وكانت حالة اليابان والصين على ما وصف .

سكك الحديد في فرنسا مُنْكَاثِر الأَسْنام . وقَارَن المؤرِخُ  
 فوليه - الشهير بِأَسْفَارِهِ الطَوِيلَةَ فِي الشَّرْقِ وَكِتَابِهِ الْجَدِيلَةَ عَنْهُ -  
 بَيْن الْقَاهِرَةِ وَبَارِيزَ عَلَى عَهْدِهِ ، مَدَّ يَدَهُ إِلَى أَنْ عَدَدَ أَهَالِي  
 الْقَرْيَتَيْنِ وَاحِدًا ، وَأَنَّهُمَا كَلَّتَهُمَا تَصَادَانِ بِالشَّرْحِ وَرَبِيتِ  
 الرِّيتُونَ ، وَتُحْصَانِ مِنَ الْخَارِجِ بِالْأَسْوَارِ ، وَمِنَ الدَّاحِلِ  
 بِالْأَبْوَابِ ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَخْرُجُ فِيهِمَا نَعْدَ سَاعَةِ مَعْلُومَةٍ  
 مِنَ اللَّيْلِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ اتَّأَخَّرَ وَحَايَلِ الْإِنْخِطَاطِ .  
 وَفُولِيهِ هَذَا قَدِمَ الْقَاهِرَةَ فِي أَيَّامِ الْمَمْلُوكِ ، وَكَسِبَ  
 مَا كُنْتُ عَنْهَا فِي ابْنِ قُرُونِ الثَّامِسِ عَشَرَ : فَانْظُرْ كَيْفَ تَبَدَّلَتْ  
 الْأُمُورُ ، وَتَحَوَّلَتْ الْأَحْوَالُ ، وَأَصْبَحَتْ بَارِيزُ كَمَا عَهْدَتْ  
 عُرُوسُ عَوَاصِمِ الْعَرَبِ ، تَعْتَاضُ كُلُّ يَوْمٍ عَنْ صَوْنٍ لَصُونٍ ،

---

(٢) إِنَّمَا كَانَتْ دِيَارُ فُولِيهِ إِلَى الْيَوْمِ فِي مَصْرٍ أَحْكَمِ  
 التُّرْكِي الْعُثْمَانِي

وتبدل حصواً بحصون ، وتذهب مخترعات وتأتى مخترعات ،  
وتخرج المدينة من أبوابها ، وتمتد إلى ما وراء أسوارها ، من  
تكاثر الأعمال ، وزاحم العمال ، على كثرة ما أصابها بعد  
فوليه من مصائب الدهر ونوائبه ، فكم هول ثورة لافقت ،  
وبار حرب دافقت ، وحرب إلى انصافت : وكم حكومة  
قلقت ، ودولة غشقت ، ومليك قتلقت ، وقبصر عزلت ؛  
كل ذلك في قرن ونصف قرن ثم كانت النتيجة خروجها  
من دجثة هذه الحوادث ماهرة راهرة ، عظيمة محرة ؛  
فلو أن أهلها دُعوا إلى اليأس فلبوا ، وقال لهم عقلاؤهم  
موتوا أحياء فسمعوا ، لكادت النتيجة تقامها كما وصفها  
فوليه أو أصيق حلقة أو أشد انحطاطاً . من هذا ومثله تعلم  
يا بني أن العلم والبيان حُلَقا لا يكونا حرباً الأوهام . وبوراً  
يخرج إليه الأمم من اطبات ، وأن حاملهما مطلقت بالعمل



والدعوة إلى العمل حتى النفس الأخير من الحياة : من شُطَّ  
هممكم من علائكم وعظائمكم ، فالووا الوجوه عنه ، وامرروا  
بالاستماع منه : ومن دعاكم إلى حياة فذلك داعي الخير ،  
فاستمعوا له وأنصتوا .

قال المرحوم

فما استتم الأمر حتى مُلئت حياته وأُملا وثقة من  
المستقبل الذي أعقده أنه رزق الله ، إذا شاء صدقه وإذا  
شاء أقام به .

وكان الأستاذ درس بلفظه على الطلبة ، فذكر أن الوقت  
سرق بعضه بعضا ، وأن حديثه معي كالسيف في ذلك :  
فمضب في نفسه ، وهزول حتى دخل القاعة الكبرى ،  
وهناك حمت مئات الطلبة له إجلالا ، ثم انحدروا إكبارا .  
وكان مثل الانتظار تبدو دلائله على وجوههم ، فتأملتهم وأنا

لا أضيق حتى فيما أنظر وأسمع ، فإذا هم جميعا مُرَّد  
أو كالمرد ، لأن من عادتهم إرالة شمر الوجه كما قدما ،  
وعليهم أردية صافية من الكتان الأبيض .

ثم تصدر الأستاذ للتدريس كأنه الملك على عرشه ،  
فعلب على السرور ، وقلت في نفسي : الآن قلت من سعادته  
ما لم يله أحد ، لكني ما نهيت للسماع ، حتى تنأى السر  
وغشبه السفة الممهودة ، فالتفت إلى يقول بلسان يعقده  
العاس : إذا جاء الليل ذهب الشياطين ، وموعدها عدا  
هذا المكان !

فاستعدت بالله وحرحت من أحلامي ، وإذا أنا  
في وكري بحلوان .

## المحادثة الخامسة

قال المحدث :

كان العدد ، وجاء الأصيل ، وآان الموعد ، فأعملت جاحي  
استقبل مفيس ، فلما وصلها ، قصدت دار العلم والمعرفة  
فيها قد حلتها ، فرأيت الطلبة يمحرون من المدرس ، وكانوا  
يستعدون له بالأمس ، وقد أحاطت عصمة منهم بالسر  
يماشرونه ويلقون عليه الأسئلة شتى ، ويأخذون من بحر علمه  
وروحه يابه ، فأشرفت على حلقهم أحطط السمع ، فسمعت  
أحدهم يقول الأستاذ . ما هي الفضيلة يا مولاي ؟ قال . نرك  
الرذيلة . قال . وما الرذيلة ؟ قال : هي جارا في دار الجهل ،  
والبطالة في الشباب .

وسأله آخر : علينا يا مولاي أن الراحة والسعادة كلتيهما

في العمل ، فدأى على عمل أنفسهما فيه قال : ابن من أنت ؟  
قال ابن نجر في المدينة . قال : عليك علمنا أيك ، فإن  
فيه الراحة والسعادة .

وسأله ذات : بمأدا تشق هذه للاد ومأدا تسعد  
يامولاي ؟ قال : باليل والنور والمجرات .

وأنى عليه رابع هذا السؤال من العالم يامولاي ومن  
الحكيم ومن الطيب ؟ قال : العالم من لا ينام ، والحكيم  
من لا يظلم ، والطيب من لا يوبأ قال : هذا هو المستحيل  
يامولاي فما تريد بهذه دلعة ؟ قال : أردت أن العالم من  
علم بالهار وتعلم بالليل ، والحكيم من رهد في هذه الدنيا  
وقع منها بكسرة ، والطيب من ترك طبا يعيش به الناس  
لعدموته .

وسأله تلميذ آخر : ما هي العسمة يامولاي ؟ قال

هي احتقار الدنيا ورحمة الناس . قال : وما فعلها ؟ قال  
تقول دون الهوى والعصب ، وكلا هذين مدله . قال :  
وكيف تؤخيه مولاي ؟ قال توحد في الطماع ، ولا تؤحد  
من الرقاق .

قال المحدث : ثم أشار المدر إلى الطلبة أن يقتصروا من  
حواله ، ففعلوا إلا اثنين من حاصه تلاميذه ، طلائعيا  
وأنا أطر حيث يسرون ، حتى أخذوا إلى المدينة ، وعدد  
وقعت مصر فوق كتب الأستاذ ، فلم يقف ولم يلتفت .  
لكن سمعته يقول لصاحبه من فاته درسي لا تفوته صحتي ،  
ومن صحتي فليصبر معي : ليس للعلم وطن ، ولا للحكمة  
دار ، بل العاقل من له على كل أرض مدرسة ، وعلى كل  
طريق أستاذ ، المدرسة تقيم العقل في طريق العلم ولا تتكامل  
بوصوله كالعبث : يمد السريرة في الاعتقاد ولا يتكامل لها

بكشف الغطاء : قرب عابد من نفسه وصل ، وشتم من  
 نفسه حصل ، عرفت مصروف الدلم فلم أر كالملطفة بأحدها  
 المرة من نفسه ، ثم من حيث التفت فرأى وكذا قيل له فسمع  
 من حديث المتكلم إن صدقا وإن كذبا . وصوت الصامت  
 إن بكامة وإن ركا ، ونعيم المعمر وبؤس النيس ومشية  
 المستكر وهديان المهوس وعريضة السكران . ومن اهل في  
 مشاعلها ، والحل في معاملها ، والدر في مستشاره ، والحق  
 في مستطاره ، والرهز إقباله وإدباره ، والملك يله وهاره ،  
 واتجر مصطربه وقراره . ومن العن إذا اعنت وإذا فحت ،  
 وإذا طمعت وإذا قعت ، وإذا رغبت وإذا تسكت ، وإذا  
 جشأت وإذا اطمانت ، وإذا شكرت وإذا جمعت ، ومن الطماع  
 إذا افتحت ، والسرائر إذا بليت ، والأهواء إذا اخترت  
 مدارس لا يمرغ الليب منها ، ودروس لا يصبر الحكيم عنها .

قال المدهم : ففهمت أن الله يعتذر وأنه هوى عن  
الكلام ويأمر بالسكوت فامتثلت وم أئس .  
ثم سرى ، فمررت في طريقا على دار تشيد ويساع فيها  
ويوشك بليانها أن يتم من رحة الأبدى عليه . وكان رها  
عندها بين عذابه وأعرابه . وكان الأسناد يمره ، فقترب  
منه وحياه ، فرد التحية ، فخطبه المفسر قائلا : لمن هذا القبر  
أيها السيد ؟ قال : هذا قصر يامولاي لا قبر أقان : وجدنا  
آباءنا يؤبدون القبور لا الدور . لأنهم مواطن المرار ،  
ومارسا جميعا معاشر السفار . فعلام نظام سئتهم ، ولا نسي  
في الحكمة سيرتهم ؟ قال : إني وأهلي للثك ، ولا يرهف له  
إلا ما يليق به . قال : إن الملك في غوة عن مثلها ، ولو كان  
من يطمعون إلى ما تمثك أبدى الرعايا . أو يصرحون  
بما يرف لهم من ثمين الهدايا ، لما ساد الأمم ، ولا اعتر

ولا احتكم . إليه ليحيى . إليه من أقاصى البلاد ، ويدخل في  
حراته من كراتم النبال ، ما لو حمل بعضه فوق بعض  
فأول العدل . وروى لأخرى : أن أيها السيد ، أن آدم هذا  
الصرح من أسامة . ثم تعود على كل قوم في وادي النيل  
يصور حواء نظوه من أفعاه ، يشرها على اللحم يطاه  
بحرف عه من ألم الخوج ١

ثم ودعه وسار ، فسار إلى ديار الذهب في المذهب والسر  
دليلها ، حتى أتته إلى دار حقه الدين ، عدها صبيان  
بلغت بعض أساد قصدهم ، ودعاهم إليه ، وقاموا فوق  
حروبها . ثم قال : عظماء وعبياء يعصان من الذمع . قال  
أبو بكر بن صدوق : وكان فيها فلاحية السماء في كذا ،  
واساركن في كذا لأمر ١ . ثم أتت إلى صاحبه وقال  
ألا أذكرك من مالك هذا اليب الرين ، قال : بلى قال



ذاك الذي بنى قصر الهدية إلى احدث ، وهو لا يساع تلك الأرملة  
ولا هدير اليتيمين في أجرة شهر واحد : فما أطامه وما أظلم  
أملك يوم يقس هدمته ، وما أظلم الحداة وما أظلم الناس !

ثم ودعهما الأستاذ ، وانطلق يمشى ونحو نفسه ، حتى  
دخل في طريق صيقة ، فاندفع فيها حتى أتى عليها ، وكان في  
آخرها منزل ، فوقف به ثم دق الباب فخرج إليه رجل  
وقور ، يدل بحديد وجهه على تقدم ميلاده ، لحياه السر ،  
فرد استجابة ، فسأله ما صبح املك باليتيمين وأمهما ؟ قال .  
رأف بهم وأمر أن يتحرى لهم رزو من الخزانة السلطانية .  
قال : حبراً فعل ، والخير صحبة فيه : فعد إلى أهلك فعد  
أطامه أن قلبي .

ثم تركه واستمر في مسيره ، والعيان يعاتبه ، وقد سأله  
أحدهما : من الرجل يا مولاي ؟ قال . لذلك جواميس

١  
يتحذم ، لا على رعيته . ولا على صحابته ، لكن على المتعففين  
من الفقراء ، وعلى الأراامل والأيتام . يدلونه عليهم ليظهر  
في أمرهم . وهذا الرجل من أدلاء الملك على الخير ، ولا  
أجر له على ذلك غير رضى نفسه ، وطلب الهدوء لها في ربه .  
هذا ما يفعله رمسيس ، ومُلك الدنيا له ، وأمر تدبرها  
بيده ، مبارك له في الآل والخال ، والرعية والساطان .  
وليأتين يوم يتخذ الملوك حواسيس على الأرملة واليتيم ،  
ليسدو عما شر أرض ، أو حدار منزل : فأولئك ملكهم  
في دمار ، وتاريخهم في سجل من عار .

ثم عطف الأساذ على حانة حمار فدخل ، فتعلم  
الفتيان ، فأبى إلا أن ينعماء : وهناك جلسا في ناحية ،  
وطلب النسر شيئا من آخر له ولتذييه . وكان إراما ثلاثة  
فتيان ترى عليهم دلائل النسب والحسب ، وكانما عرفوا

الاستاد، فحبال أحدهم حتى تسار وانصرف وتحول الثاني  
إلى رواية فاسكش فيها ، ولثث لثالث كما وحدها ثلثا  
لا يتحرك : هالعت السر إلى أحد الصاحبين وسأله قائلا .  
أعرفت هؤلاء يا بني ؟ قال : هم يامولاي مو صديقتك  
المائد فلان . قال : هم بعينهم ، يترددون إلى هذا المكان ،  
وقد علم والدم بذلك ، فتشبت في أن أتداركهم بالصبح  
والحر في ريقهم قبل أن يصحوا في ريقها فكيف وجدتهم  
يا بني ؟ قال : أما الأول يامولاي فيجعل من نفسه ، وأما  
هذا السكش المستر فيجعل من الناس ، وأما هذا الثالث  
افتهك فلا يجعل من نفسه ولا من الناس ! قال أصدت  
يا بني . ثم أقبل على رفيقه وسأله . وكيف رأيت فيهم أنت  
يا بني ؟ قال أرى يامولاي أن يوكل الأول نفسه ، لأن  
سوف تزجره ؛ وأن يتصح للثاني ، لأن المقابلة تجمع به ،

وَأَنْ يُبْعَى هَذَا الْكَتَابُ إِلَى أَبِيهِ أَفْصَحَكَ الْأَسْتَاذُ مِنْ جَوَابِهِ ،  
وَحَكَمَ بِصَوَابِهِ . ثُمَّ انْبَعَثَ إِلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى الْمُنْكَشَرِ ، وَفَادَاهُ .  
مَالِكُ بْنُ الْأَحْجَلِ لَا تَكُونُ رَابِعًا ؟ قَالَ : إِنْ أَدْنَى مَوْلَايَ  
فَعَلَتْ . ثُمَّ حَفَّ إِلَيْهَا جُلُوسَ مَعَا ، خِيَابَ الْأَسْتَاذِ وَلَا طَعْفَ ،  
ثُمَّ خَاطَبَهُ فَقَالَ : يَا أَطِيبَ الْخَمْرِ يَا بَنِي ! قَالَ : أَطِيبَ مِنْهَا  
يَا مَوْلَايَ هَذَا أَشَاءَ عَلَيْهَا مِنْكَ . قَالَ : كَيْفَ تَجِدُهَا ؟ قَالَ  
فِيهَا لَعْنٌ وَهِيَ مَحْرُوقَةٌ . قَالَ : كَذَلِكَ الشَّرَارَةُ . تَجِدُهَا لَطِيفَةً  
الْمُتَّقِدَ ، وَقَدْ تَصَمَّمْتُ عَلَى ذَلِكَ . قَالَ : وَإِنَّمَا لَتَذُبُّ حَمِيَّةً  
صَمِيمَةً ، ثُمَّ تَتَمَكَّنُ مَظَاهِرُهُ قَوِيَّةً . قَالَ : وَهَكَذَا الدَّاءُ . قَالَ :  
وَإِنْ الْحَسَمُ لَيْسَتْ بِمَخْصِيئَةٍ ، وَتَخْرُجُ الْبُصْرُ مِنْهَا مِنْ عَالَمِ الْهَوَمِ  
إِلَى عَالَمِ مَوْهُومٍ . قَالَ : حِينَئِذٍ أَشَارُ بِهَا إِذَنْ أَنْ يَنْتَعِرَ ، فَالْرَّاحَةُ  
كُلُّ الرَّاحَةِ فِي الْمَوْتِ . قَالَ : وَإِنَّهُ . يَا مَوْلَايَ لِعَادَةُ ، وَالْبُصْرُ  
بِمَا اعْتَادَتْ مَقَادَةُ . قَالَ : الْآنَ صَرَحْتُ ، فَإِنْ كَانَ وَلَا يَدُ

خذ منها لطرك ، ولا تعطها من عفاك وأديك ، واتخذ منها  
صحة ولا تتخذ منها مرضا ، واشربها مع حكيم يقول لها قى . |  
وحده في مجالس الكرام ، هناك أوائله طرب ، وعراقها  
أدب . قال . ألت يا مولاي فصحت . ونو أخحت لما  
أناحب . فلا يكونن إلا مانصحت قال بقيت باى فى المص  
ساعة . إن أباك أشفق من السفهاء أن يندوك وأحوريك  
فى العى ، فسلطى عليكم : فأما ذاك الذى استجيبا لله نفس  
ترجره ، وهى حسبه : وأما أنت فعند رأيت من عفاك  
ما يطمئن به قلبى . وأما هذا الذى يشربها جهرا ، ويلاحظ  
اللائى فيها شر ، ولحيلة فيه قليلة ، والصيحة معه مستحيلة :  
فإذا لعبت أباك فشب من تلامد تعسك إليه ، واكفى شهة المص  
عليه ، بهدايه ولديه . قال : أمرت بمثلا يا مولاي . فودعه  
الاستاد ونهض وصاحاه على أثره .

قال الخدم

فما حرجا من أحده ، ربنا الناس يزدهجون على بابها ،  
و تمت في المسرور آيت العيظ على وجهه ، و سمعته يقول  
لصاحبيه : ما أوع الناس يا س ، يشتعن أحدهم بشئون  
أحبه و في أيسر شأنه ما ينبغي العلم الملائ أن يتأور دح  
في هذه الحالة ، ه حتموا يظرون كيف حروجه . فلا استقلال  
جمهم ، و لا حطاس فيهم . ثم فعل فقال : أيها الناس ، الناس  
هوق التراب ماس ، و الحرف حزق ولو حمل على الرأس ،  
أما والآفة في معادهم ، و آناه أمتك في مرادهم ، كرت  
صادر عن هذا المبرل أظهر من خارج من هيكلك أيها الناس ،  
من رل مسكة تستتر . و من رأى رله فليستر . من علم على  
أحبه فليصح له هسا . و ليرحمه في نفسه . و ليدع له في  
صلاته . أيها الناس . ثلاثة ترض ولا يأمنها أحد أن تعاجي :

المرض ، والمصيبة ، والفواية ، وما شكر أحدكم الآلهة على  
 الخلاص منها بأفضل من رحمة الواقفين فيها . رأيتم من  
 السفاهة والمجاعة أن يلج شيخ في هذه الحانة ، «جتمعت»  
 ولو عقلتم لما فعلتم . إن للعقل كما للقدم زلة ، وإن للعليم  
 كما للجاهل صلة ، وإن العس مع الهوى مائلة ، والعاقل من  
 إذا مال مع العس اعتدل . أيها القوم ، إن ملككم الكبير ،  
 وإن عدوكم لكثير ، أمركم «هدى» المشرق ، وسبىكم في كل  
 مفترق وعيادكم يسبرون ، وحسادكم يسفرون ، فاستبقوا  
 نفوسكم وهدووها . وحافظوا على أديابكم ورووها ،  
 وأعدوها ليوم تدعوكم الأوصان لتفزيبوها لا تقطعوا  
 العواية أرفقتكم ، فتلب مكم ذكاكم ومهتكم . دخل  
 الرعاء بلادكم في شبية الدهر ، فامسدوا فيها وجدلوا أعزة  
 أهلها أدلة ، وكان آباركم على أخلاقهم القديمة . يا أحدون

الفصيلة ويدرون الرذيلة ، صحاح العقول ، صحاح النفوس  
صحاح الأبدان ؛ فاسجمعوا في وقت السكون ، ثم وثبوا  
في وقت الثوب ؛ فاستردوا ملكهم بقوة ؛ ويراد منكم أن  
تكونوا في الأمن في درع مصاعفة من الفصيلة ، لاتأمنون  
الدهر أن يأتي على عجل . باحثة السلاح ، لاتقلكم في السلم  
الراح . باحثة العلم ، لاتقلكم الخمر على الحلم . يامعاشر  
الصاع ، من كان الوقت رأس ماله ، والصحة سبب رزقه ،  
والكسب قوت عياله ، فليهرأخره ، فإنها مصيبة الوقت ،  
مصرة الصحة ، آفة النشاط .

### قال المحدث

فبينما السر يتكلم والجمع يسمعون ، برر اختار له بين  
رحلين من الشرطة كان استأجرهما ، مطلقا إلى الأستاذ أن  
يسئ عن الكلام . وألا يذم آخر في بيتها ، ولا يعطس عليها



في وجهها . ثم أبلغاه أن صاحب الخنة يدعوه إلى المحكمة في اليوم التالي ، ليطالبه أمام القضاة بدل ما ألم به من الضرر ولحق به من الخسارة ، فسب هذه الخطئة في هذا الموقف : فامنع الأستاذ من الكلام كما أشار . وأجاب بأنه سيوافي المحكمة في المد ، وهناك يكون له وللخمار شأن .

ثم مشينا بحرق الصعوف ، وهي تنحني للسر وتنحني له في طريقه ، حتى خرجنا من ذلك القسم من المدينة ، ودخلنا في قسم آخر : فقال الأستاذ لصاحبه ، غداً تبارز أبا والخر ، ويحكم القضاء بيني وبين الثجر . قال أحدهما : قد كان لك يامولاي غنى عما أتيت ، إنك طابت إنساناً من حيث هدبت قال : إن الطرق مدارس العامة ، ولا يعلم فيها إلا الخطباء ، والرجل يظلم الناس ليل نهار ، ومن ظلم ظلمنا فما ظلم : إنني لا أشفق من الحر على الخاصة ، فإن لهم عقولا

تردّم أحيانا إلى الاعتدال في أمرهم ، وأشغالا من العيش  
وأسيابا من السعة تعيّنهم على الحر ونقيهم كثيرا من عواقبها ؛  
ولكنني أشفق منها على العامة ، فهي فيهم سلطان جائر ،  
يفتك ولا يرحم ، وشيطان تار ، يسكن الروس يملؤها  
شرا ، ويملك النفوس يملؤها حباث ، وإذا هلكت  
العاقبة في أمة فقد هلكت الخاصة .

قال الهدهد :

وبينا أياقونس بحديث السر ، أسمع ولا أمله ، وأتعط  
بجمع ما يأتي ويدر ، وإن لم يحاطني في هذه المرة ولم أخاطبه ،  
إذ قطع الحديث كمادته وتائب ، فعلت أن الساعة أنت .  
ثم نظر إلى وقال كلمته المألوفة إذا جاء الليل ذهب  
الشياطين ، فالتفت غدا في المحكمة ، تسمع وتره

## المحادثة السادسة

قال المحدث :

فلما كان اليوم التالي ، شمت من الهار وطوله . ومن  
يلنظر بسأم ، حتى إذا مال ميزانه وآصلت الآفاق ركبته إلى  
معييس ، وأما انتظر أن يكون لتلك المحكة بيا ، وأرجو  
أن أقف على درجة القضاء عند المصريين القدماء ، اعلمى  
بأن العدل - كما قبل - أساس الملك ، ولا عدل إلا حيث  
القضاء يدور دولا به ، ويؤلاه أربابه ، ونوثق أسابه ، فهو  
مرآة الحكومات التي تترامى فيها بما هي عليه من استقامة  
أو عوج ، وظلم أو عدل ، وصلاح أو فساد ، وارتقاء  
أو انحطاط ؛ وأساس الممالك . إذا سلمت ، وإذا تهتم

أهدمت ، وعنوان شعور الأمم وتعقلها ، ودرحتها في  
العرفان ، ومآلها من العضيلة الإنسانية ، لأن القوانين التي  
تضعها كل أمة وتواصي بالخصوص لها ، ليست إلا مجموعة  
ماريحتها وآدابها وأخلاقها وعاداتها ؛ ولأن القائمين عليها  
هذه القوانين ليسوا إلا أفراداً من أمتها ، يصرون  
بعبثها ، ويسمعون بأدائها ، ويشمرون مثل شعورها ،  
ويجدون مثل وجدائها ؛ فإذا زكوا زكأت الأمة ، وإذا  
خشوا خبت الأمة حمداً .  
قال :

فلما احتوتى المدينة ، رأيت الرثمر آخذين طريقاً  
يتدفقون فيه ، فقلت في نفسي لعل الزحام من أجل  
جنتاور وقضيته ، وطعقت أظفر إلى حيث يسرون ، حتى

تحت الخوع دار لديها هالة ، وعليها من العدل رونق  
وجلالة : فقلت في نفسي : دار القضاء لا محالة ؛ ومررت  
من فوري فصرت فيها ، أجول مع الجائلين في نواحيها ،  
وهناك علمت أن هذا الباب الربيع ، مقر حاكم القسم ، وأنه  
يجلس فيه للقضاء بين الناس ، فقد رأيت كثيراً من دور  
الحكومة في الأقاليم ، وهي التي يجلس بها عمدة البلاد  
وأعيانها وحكام القرى للفصل في المنازعات ، ولم أر ما يماكي  
رفعة هذه الدار .

فأجابه أحدهم : إن قسم الصناعة أكبر أمام المدينة  
يا مولاي ، فلا غرو أن تكون دار الحكومة فيه بهذا العظم ،  
لكن أيا دلي مولاي إن سأله ، ألم يأن للحكومة جلالة  
الملك أن تجعل القضاء عملاً مستقلاً ، ونظماً قائماً بذاته ،

فلا يقضى بين الناس شيع القرية ، ولا حاكم القسم ، ولا قائد  
العسكر ؟ قال : وأى بأس هؤلاء إذا انتدبوا للقضاء ، وهم  
أشد الناس امتزاجاً بالآهالى ، وأعرفهم بطباعهم وأحوالهم ؛  
وجلهم على معرفة واستقامة أخلاق ؛ بل إن الآهالى كثيراً  
ما يقرعون بمارعاتهم إلى أفراد منهم اشتهروا بالملم والخبرة  
ليفصلوا فيها ، وهم يرتاحون لقضائهم ، ويقولون أحكامهم ،  
ويعثلون الصارم منها كالجلد . وربما كانت هذه الأحكام  
أدنى إلى العدل وأقرب للصواب مما يصدره قضاة تقيمهم  
الحكومة ولا تتفهم . ولقد رأيت الحكام فى القرى إذا  
تصدروا للمصاه جلس بجانبهم نفر من الكتات والأعيان  
يهدوهم بالرأى ويردوهم إلى الصواب فيه .

قال الهمداني :

فاستعرت هذه الأقوال ، وعجبت لادهر كيف تشابه

وجهه وآخره . بهذا قضاء العمد كان من ضمن نظامات  
المصريين القدماء ، وهو اليوم الشغل الشاغل والمألة الكبرى  
في مصر : وهؤلاء المحفلون كانوا يواررون القضاة على عهد  
القراعة ، وهم اليوم من ضرورات القضاء في بارز مركز  
الحضارة الحاضرة .

ثم التفت السر حوله وقال لأصحابه . ما أجل  
هذا الموقف !

وهناك تضرّت بالسر في ناحية يحيط به جماعة من  
أصدقائه وتلاميذه ، فاقترت منه ، فهبطت مستقرى من  
كفنه ، فالتفت إلى منسبها فقال : جعل هذا الموقف للعضيلة  
يصرها فيه دعائهما ، كما جعل للجراتم يفتضح به جنائهما ؛  
والتمثيلان فيه اثنان : حاد تعلق راءته ، وهذا يكي عليه  
من في الأرض . ورى تعلق حايته ، وهذا يكي عليه من

في السماء : ومن لي أن أكون نشاني ؟

فقال له أحدهم : قضاء منيب يا مولاي قضاء عدل  
ودراية ، فلا خوف على رفيع شرفك منهم .

قال : لا يضطرب إلا انماعى العادل ، ولا يحطى إلا  
القاضي العليم ؛ ولو أن المتنازعين أن يحكمهم الله ، لكان  
في شأنه مع الخمار فلم يدر أيقضى له أم عليها .

قال أحدهم : هبهم يا مولاي حكموا لصاحب الحاجة  
بشيء من المال بأخذك عوضاً لما خفق به من الحسارة  
المزعومة ، فما يكون شأن هذا الحكم ؟

قال : أكون قد أعطيت العذبة شيئاً من مالي لا أستكثره  
عليها ولا أنعمه الله .

سأله آخر : ما العطاء يا مولاي ؟

قال : محكمة ظهريه أجا إليها فساد المحكمة الداطية .



قال : فما العدل ؟

قال . شئ . كان مع الإنسان الأول حين لم يكن له في الأرض شريك يرحمه ، وكان لا يجد عليها من يظلمه .

قال المحدث :

فبينما السر وأصحابه في التحدث ، إذ دعى المفاصيان للثبوت في موقف القضاء ، فدخل الأستاذ ونظر من الشهود له وعليه ، وكان القضاة نحو سبعة ، هم حاكم القمم ومعاونوه من كتاب الناحية وأعيانها ، وكان متردبا حلة للقضاء . يصاء صافية بحلة الخواشي ، تزهو بفلائد العفياان التي كان الحكام يزيون بها صدورهم كلما جلسوا للحكم بين الناس ، فلما صار السر بين أيديهم قال له الحاكم . أيها الأستاذ ، إن لك بمقتضى مناصك السامية في المملكة أن ترغب عن قضائنا إلى قضاء جلالة الملك ، كما لك أن تقل ما ، قضيا لك أم عليك :

فانظر ماذا تؤثر ؟

قال : رضيت بقضائكم ، لأن ماضي السامية والمملكة  
ليس من شأنها أن تميزني على حصصى هذا في موقف يستوى  
فيه الخصوم ، ويُقْتَضَى فيه للحصى من الحجوم : فاستمعوا له  
ولى ، ثم اقصوا ما أتم قاصون .

قال : إنه يقول إنك أرريت به وتجارته ، وإنه لا بد  
له من بدل ، ويطلب من المحكمة أن تحكم له بحال بأحده  
مك ، وقد جاء بشهود من عده للإثبات ، فهل جئت بشهود  
من عدك للثبوت ؟

قال : ليس لي شهود من عدى أيها القاضي ، وما حظرت  
لي فط على بال أن الشهادة تتجراً ، لأنه لا فضيلة ولا عبادة ،  
حيث يختلف اثنان في شهادة ، وإنى لأعجب لكم معشر الحكام  
كيف تقبلون من شاهد أن يثبت ومن آخر أن ينفي ،

وأنت تعلمون أن أحدهما كاذب . أو تحرف للشهادة لاجالة ،  
 وقول الكذب إغراء به ! إن الشاهد دعاية القضاء ، إذا  
 مَنَّتْ مَنْ ، وإذا وَهَتْ وَمَنْ : فقوموه تقوموا به ، ولو أن  
 من الآلهة قصة في الأرض ومن الملائكة مقاصير وفد  
 الشاهد لفسدوا جميعاً . الشاهد عوان الأمة ، وجعلوا عوانها  
 الصدق والعصيلة ، لا المئين والرديلة . إن شاهدين يقول  
 أحدهما رأيت بهاراً فيقول الآخر رأيت ليلاً ، ويقول  
 الأول سمعت صححاً فيقول الآخر سمعت ككاً ، لمن حقهما  
 أن يُفَصَّلَ بهما قل أن يُفَصَّلَ بين المقاصين : فمن كذب  
 منهما يُسلب السمع والأبصار ، ويأدى عليه في الناس  
 بالعصية والعار !

قال الحاكم . إن مقام هذا المقال المدرسة لا المحسنة  
 أيها الأستاذ : لا بد لنا أن نسمع الشهود ، فليحرقوا وليبق

منهم واحد .

خرجوا إلا واحداً ، طلب القاضي منه أن يؤدي اليدين  
 الفارسية ، وهي عند المصريين القدماء ، وأقسم بحياة الملك ،  
 وبعمدة الآلهة . . . فأداها ، ثم قص على المحكمة ما رأى وما  
 سمع ، وحدث القضاة حدث الخطبة ، وأعاد عليهم مها حتى  
 فرغ من شهادته فذهب كشأنه ، وجيء بعيره فأداها ، ثم شهد  
 ثالث ورابع وخامس . فرأيت الكل على حلق واحد من  
 توحى الصدق والتوجه إلى الحقيقة والإيجاز في العبارة ؛  
 فعبطت قصة القراءة بهم وسائر الأمة ، أمة الأخلاق ؛  
 ورئيت في نفس لقصاصنا ، علما بما يكادون من جهل  
 اليهود وروعاهم من الحقيقة ، وخطأهم في المقالة . بما  
 يخرج القاضي أحيانا من كبنته ، ويشذ حواطره ، ويذهب  
 شمين وقته سدى .

ثم طلب القاصي من صاحب حبه أن يشرح دعواه :  
فتقدم رجل أسمر اللون ، صغير الهامة ، دقيق العنق ، قبيح  
الوجه ، وماله الخ كم من أت ؟ قال : ولان الكائنات  
يا مولاي ، أأبى صاحب الحبة عنه في تقرير شكواه ،  
وشرح دعواه . قال : إذن تكلم فأقسم الجمل ثم شرع بقول  
دحل السيد الأستاذ بتمامه ، وصديق ملك العالم ، حادثة  
انني شارع الصاعقة ، بصحة بيان ، فلت ريثما شرب قدحا  
من ببد مقبس ثم حرج فلم يدركه إلا وقد وقف باب  
الحانة فسه ، واعتصر للناس في صريقتهم إليها فقطعه ،  
وحطت في المرة بعد ذلك واستوفهم ، وحلب الحمام  
بعصه دما حتى حيل لدر في أن الحانة قبل فيها قتيلا ،  
أو حدث فيها حادث حليل ، وكانت احمر موصوع حطته ، أو لها  
وآخرها بوصفها بأفصح الأوصاف ، وسن عن شرها ، وحذر

من عواقبها ، وذكر مصرحاً ، وبين نصيب كل طبقة من طبقات  
الامة منها ، وصالت خطته حتى سمعها خلق كثير ، ومن فاته  
أوها لم يفته آخرها ، ويعلم الفضاة من جهة أن تجارة الأهليين  
حرة في بلاد حلالة المالك ، وأن قوانين حلالة لا تحرم الحر  
ولا تمنع من المتاحرة بها ، ويعلمون من جهة ثانية أن للحطاة  
هو أقف لم يكن ذلك الموقف بها ، فلو قال الأستاذ في آخر  
ما قال وهو في التعبد بالهيكل أوفى التعليم بالمدرسة ، لما وجد  
لائماً ولا مؤاحداً ، لكنه عمد لشخص معين فأررى به  
وتجارته ، بمراى ومسمع من كافة ، ويعلمون كذلك أن  
ألف أخانات بين الناس هم لعامة في العالم ، وهؤلاء يتأثرون  
بذكر اسم الأستاذ بداور ، فكيف إذا سمعوا حديثه ، وكان  
مداره دم آخر في بيتها ، ونسيح تجارتها بين أعين تجارها ؛  
ويعلمون أيضاً أن المارة في أى قسم من أقسام المدرسة ، إنما

يكون مدعوهم من أهله وسكانه ، وحاشا إنما جعلت لأهل  
تلك الحاجة التي حطب الأساد عليها ، فكل ضرر يشأ عن  
حطته إنما يدق بالحاجة خاصة ويصيب صاحبها بالذات .

هذه شكوا بسطاها للحاكم وأعوانه ، آمليين من  
عدالتهم أن يقدروا الخسارة التي سببها الأستاذ لما يحطبه ،  
وأن يسوموه أداء الموصى إليها .

لحين مرع الرجل من شرح الشكوى ، لم يتمالك بقاء ور  
أن صحاح ثم قال : أيها العفاة ، أعطوا الحار من مالي ما شئتم ،  
ولا تعضوا هذا اللاحق منه قتيلا .

فسأله الحاكم : وأي علاقة يسكنك وليس هو إلا محاميا  
عن صاحب الحاجة ؟

قال : عمت إنيما اشترطت أن يكون له نصف مما  
تحكمون به عليّ ، وأن احمر عارضه في ذلك يادى يده ،

فكان جوابه أن التجارين سواء ، وكذا أن الحمار يلبس  
اللباس أمواهم كذلك المحمي شياطينهم أروافهم .

وعلم الخصم أن قوايس حلالة الملك لا تحرم الحر ولا تمنع  
من التجارة بها . ونحن نقول إنها تبيع السم أيضا ولا تحظر  
الاتجار به ، ما دام من المعقولة . وكل ما أحسنه تقدير .

على أنها لم تحرم آخر ولم به عنها ، وكيف وقد شرما  
مها قدما بأعداء الخصم . لكن دعونا الناس إلى الاعتدال  
في أمرهم وأحد القليل منها إذا لم يمكن من شرها بُد  
فقلنا كنت يقول لهم وهو على باب صيدلية لاحاة .  
يا أيها الناس ، لا تأخذوا السم إلا بمقدار أهل علي إن  
قلنا هذا من حرج ؛ شتان بين النوعين من السم ، هذا بأخذه  
المزم وهو يعافه ، وهذا يتناوله وهو يئده . هذا يتجرعه  
وهو يدرى وهذا يتعاطاه وهو لا يدرى ؛ هذا إذا أخذ



فيه مع ، ويدا أحد كثيرة أرفع وهذا صفة نزول ، وشعور  
يعتوره دول ، ونية تناول ، ومية غذاها يهول .

ورغم الحصر أن للخطابة موقف لم يكن ذلك الموقف  
مهما ، ونحن نقول إن الموقف لم يكن أصلح منه للخطابة ،  
لأن مدس امر لا يثبت له إلا في الخاصة ، كما أن البيت  
لا يثبت إلا في القصر .

ورغم الحصر أن حطبا من شأنها أن تؤثر في العانة  
بدين هم المشاءون إلى أخانات ، وهذا ما كاسى ، فإننا نلتقي  
خاصة في المجلس ، وسكتب لهم ما تصل إليه أيديهم وأفهامهم ،  
لكن لا بجمعها والامة إلا الطريق ، ونصحبهم دين عليا  
أيضا لقيام .

ورغم الحصر أن السلام مقصور على حان ، لأنها إنما  
حملت لتمام الحاجة التي حاربا فيها امر ، فأصبح ينتظر

من سكانها أن يولوا الوجوه عنها . وهذا يومنا بقدر ما يحزن  
صاحب الحانة ، فقد وددها لو عم الصع بقدر ما خص الضر .  
أيها الفصاة ، لا تحكموا للحمار فتحكموا على الفضيلة ،  
ولا تقضوا له فتقضوا على التجارة الشريفة : لأن المتاجر  
بالمرقاسي القلب لا يرحم مرعاه ، غدار لا يشيع جارة  
قتلاه ، غشاش لا يقف في العش عد حده ، شره لا يقصر  
في الكسب عد غاية : فإذا لم يكن ملك رقيق عليه ، ولم يضرب  
الفصاء على يديه ، عظم شره ، وعم ضره ، ونشبه به الكثيرون  
من أهل الكسل والشر .

ثم نعلق القاصي بهذا الحكم :

نحن حاكم قسم الصناعة ، من أسباب حكمتنا الذي نصدره  
باسم جلالة الملك ، مقتبين من أنوار عدله المشرقة على العالم ،  
أن اليات موازين الأعمال ، لا غنى للفصاء عن تقديرها

والتأمل فيها والوقوف حيث هي من صلاح أو فساد أو الحكم  
 على صلاح الأعمال أو فسادها : ونية الأستاذ بتأدير يوم  
 حطب في شارع الصناعة ، كانت معقودة على أن يدفع الناس  
 ولا يصير لصاحب الحانة ، وأيضا إن الفضيلة هي روح  
 الشرائع التي يحكم بها جلالة الملك رعاياه ، فلا يلبي لها أن  
 أن تُصر عليها الرذيلة في حال من الأحوال ، والأستاذ  
 بتأدير إنما نهى عن الإكثار من آخر وإدماها الذي هو  
 رأس الرذائل ، ويرى كذلك أن الأستاذ بتأدير هو من  
 كبار أئمة الأمة وأهل الإرشاد فيها ، وهذه الطبيعة  
 العالة يؤديها أمثاله الحكماء في كل زمان ومكان ، أيما وجدوا  
 وكيفما ارتأوا ، وكل تعرض لهم فيها تعرض للفضيلة ، وبناء  
 على ذلك حكما بطلان دعوى الخمار ، وأن يدفع إلى الأستاذ  
 بتأدير عشرين قطعة من الذهب ، لأنه سلبه بعض وقته

انتم ، ونحره عن شعله الباقية في دعوى لم يكن من شأنها  
أن ترفع إلى القضاء . ولهذا السبب نفسه حكما على الكاتب  
فلان المحامي عن اعمار بمحامين حدة يُجلدها في صحن دار  
الحكومة هذه بمنه من الناس ، عقوبة له على عشه صاحبه ،  
وكيلا يحترق أمناله الكتاب على أحد أموال الناس  
بغير الحق !

قال المحدث :

ثم شاب الأمر نزوة المهود . وفاء بكلمته المألوفة :  
إذا جاء الليل ذهبت الشياطين . وأمرني أن ألقاه غد ذلك  
اليوم في دار الأمر . أوني .

## المحادثة السابعة

قال الهدد :

فما كان أصبل العبد ، حرجت إلى الموعد كما أمده ، وقد  
عين صبرى لحل السر على الكلام ، وحيطه في صرب  
المواعيد ، قد حلت معيس صالاحه ان لا أهتدى السنين ،  
ولا أحد من دليل : خلعت أمر بالدور العالبة ، وأطيف  
بالفصور الشافقة ، لعل أحد ربح السر ، على ذلك القصر ،  
حتى أتتني طلابه ، وأعصبي احتجابه . ونقص إلى اصطحابه  
فعمدت لشاك معنوح في طبقة من دار قد حلتهامه ، وقررت  
في رفق هات ، ثم بطرت تحتي ، فرأيت غلاما بصفة مشرب  
في المكان ، متقلبين على الأرض به ، وقد جلسوا أرحا ،  
وأقبلوا برءوسهم على ركبهم ، وبين أيديهم شيء كثير من

ورق البردي وسائر أدوات الكتابة وهم في العمل ، وكان المصدر  
لرجل يؤخذ من سه وهينته واتحاده مصة للجلوس وأخرى  
للأوراء ، أنه رئيس هذه العصة ، والمسيطر على هؤلاء  
الكتبة ، فخل إلى عدما رأيتهم على هذا الحال ، أنى في بعض  
الدوائر المصرية القديمة . حيث الشكايات تنصدر والعمال  
بحاجيه يعرضون عليه أخرف والسطر والصحيفة .

قال :

وكان دونى علامان مندابين في الجلوس ، وكانا يتحدان  
مما . فاسترقت اسمع ، فسمعت أحدهما يقول للآخر .  
نحن نكتب غير مأحورين ونقعب ، وهذا الرئيس يأخذ  
المرتب فأجابه الثاني . وليته بفركا وشأبا وما نحن فيه  
من حال تحمى الظهور وتدمى الركب وتقرح الجمون ، فقد  
شكاني من أيام إلى والدي ، ورعم أنى لطفى الفهم ثقيل

الحركة اقال : وهل صدقه أبوك؟ قال : تردد ، ثم نقل الحديث إلى أمي فلم تصدقه ، وحلقت بعممة الآلهة أبي أحصر دها وأصح بهما منه ومن أولاده الثلاثة اقال : إنه حديق لأبيك ولوالدي ، ولولا هذه الصداقة لما اتخذنا تليذين له ، فلينها لم تكن ولم ندخل هذا القعر على قيد الحياة اقال : لصكن الناس لإجماع على أن هذه الصاغة التي يمارسها هي سلم الارتقاء في خدمة الأمراء والأعياء ، وأن كثيراً من المكتنة وصلوا فيها إلى الحناء العظيم ، وحصلوا منها على المال الجسم : وقد حدثني أبي وأمت تعرف مكانته في العلم والعقل ، أنه رغب في الاتصال بالأمير ، أوفى ، أحد أنجال الملك ، وكان في ديوان حجابيه عمل يحتاج إلى عامل ، فطلبه أبي بسمارة صديقه هذا الذي ستمنا من رقيقته ، وهو كما تعلم الأمور المتصرف في ديوان أمواله ، عرض اسمه على الأمير

في حملة ما عرض من الأسماء فلم يقع اختياره إلا على واحد  
من الكتبة ، لكن أبي لا يرى هذا الشيطان ، وبتهمة بكونه  
يُظهر مالا يبطل ، كدأب جماعة الكتبة المنفقين على أن  
يأخذ بعضهم يد بعض في الأمر كله ، وهذا هو سبب قوتهم  
وسر نجاحهم !

فإن احدث

فوجدت لمصر أم العجائب ، كيف صارت آلافا من  
السين على حال واحد مع هؤلاء الكتبة ، فكأوا على عهد  
المرأعة هم أنفسهم وقت دخول العرب ، إلى زمن المماليك ،  
إلى أيام محمد عني ، إلى حكم اسماعيل ، إلى عصر الاحتلال ،  
وفيه ظهرت الشهادة الاندائية . وأحضا الثانوية ، فأت بها  
الجهل وماتت الكتبة القديمة لكن هات كثير من طلبة  
الرزق في الحكومة بين طبقة اعلم عن غير شهادة . . وحررت



في معنى فلم أدرك أبكى ذلك اليسر مع الجهل . أم أبكى من  
هذا المر مع العقل وكنت قد استبشرت عندما سمعت  
اسم الأمير أوفى ، وعرفت من حديث اعلامين أن الديوان  
له ، وهؤلاء الكتبة أنزع له ، وأملت أني أستدل على القصر  
بأحدهم ، فتحقق أملت على العور . إذ لم يلدك الرئيس أن  
نهض ، فالتفت إلى من يليه من العبدان وأخبره أنه داهب  
إلى القصر لمقابلة الأمير في بعض الشؤون ، ثم خرج من  
الباب ، فسفته من النافذة وأما استعرب هذا الانعاق ،  
وألعبج من المصادفات كيف تتساقق فإزال في سيره ،  
وأما في أثره ، حتى احتوا ، ضيق صيق ، جمعني العناية فيه  
بالسر ، وكان يمشي متعطلا كثر التلقت ، فلم أتمالك عن  
الوقوع على كتفه ، فلما صرت في عنى المألوف منه ، التفت  
مبتسما مرورا ، وقال لقد حننا على الهدوء الصلال !

قلت . مارلت يا مولاي تفضله ، وما برحت العناية تدله ا  
ثم حدثته حديثي وما وعيت من محاوراة العلامين .  
فاستضحك ثم قال : انظر كيف يستفيد العريب من الضلال  
اصحاف الفائدة من الاستدلال ا قلت : لقد أوشكت  
يا مولاي أن أضل حلفاءكم وفي شئركم العربية ، وأحوالكم  
المعجية . لآمكم تهزلون وتحتون ، وتصمرون وتمطمون ،  
وتجهلون ونعفلون : كيف يكون مثل ذلك الكاتب على  
ديوان أموال الأمير وفي المملكة من يصلح لهذا العمل  
وأمثاله من طلبة العلم بين شباب البلاد الأكفاء ؟ قال . وأى  
كبر لا يصغر أجبانا ياني ؟ إن للأمة الكبيرة كما للفرد  
الكبير زلات وجهالات ، تدل على الكمال الكامل للأمة  
وحدهم ، فإذا دخلت على قوم ديارهم فلا تحكم على أشياءهم  
منفرقة ، واحكم عليها مجمعة .

ثم أوصى بنا المسير إلى ميدان وسيع ، فيه قصر رفيع ،  
نشى السرخس ، فسألته : لعلمها دار الأمير يا مولاي ؟ قال :  
نعم ، وليس ماترى إلا قصرًا من نحو عنة قصر ، يحيط بها سور  
واحد ، ويأوى إليها الملك ونساؤه وأولاده وأرباب خدمته ،  
كلُّ بقدر درجته في القرابة ، وحسب منزلته في الصحة  
وموقفه في الخدمة .

قال المحدث :

فاستعرت الأمر ، وقلت للسرخس : ما نرك الأول للآخر  
يا مولاي . فليست يلزم بالثبوت الذي يُذكر في جب هذه  
الآلية لفرعونية ، واماكن الرميضية ا قال : ألم أحرمك  
أن تقيس ، وأن تذكر أحد الملوك بمسبب ا قلت :  
لا أعوذ لها يا مولاي !

ثم دخلنا القصر ، فحسنا بلع بابا وستمس آخر ، ونخرج

من مباحة ويدخل في مباحة ، ودخول دهايا إلى دهايا بين  
 حراس حملة ، وجد عدة ، وخدام لا يسقى لهم حنفة  
 ولا دهاب ، حتى صمتا حديفة من أمدع ما عرست أراحات ،  
 وأكرم ما أحرحت الأرض من الديات فاجنة باها إلى  
 قصر له بهو يتمشى فيه الأمير الشاب ، بين اثنين من  
 الأصحاب : فحين وقع نظره على الأستاذ ، نهل واهر ،  
 وانثنى إلى ما وراء الهو ليستنفسا ، وسار اعيان بين يدي  
 اللسر حتى أدخلوه على الأمير ، فالتقاء أحسن التقاء ، وأسى  
 محله ، وأحله بحاله ، وأوما إلى صاحبه جنسا دونه في  
 الحصرة ، ثم خاضه والانسام منه ، فقال لعن هذا هو  
 الهدد السحري ، الذي لا يعارق الأستاذ في هذه الأيام !  
 قال : هو دميته ، من حدثك حديثه يا مولاي ؟ قال قناسة  
 هوروس ( من ألعاب المراجعة ) قال أولع حديث الهدد

إلى لباب العلى ( من ألقاب الفراعنة ) ؟ قل . وهل تحي  
على جلالتها حافية في الأرض أو في السماء . وهو المصطلع  
وحده بالميت في الأولى . وثريث لأمة في ملك اشية .  
و . كذاك هو يامولاي ، كنه لم يأت عن أمر هذا  
تصاحب الجديد ! قل . لعل شاعرا تعله . قل . هذا الهدد  
يامولاي خفق بجائس الموت والأمرام لأنه أصم لا يملك  
السمع . أحرم لا يمت الخطاب . اللهم إلا أن ينزل  
فيه من روح الله . ثم يعرض عليه فينطق بما يدهش  
السامعين ، ولا يدهش ذا القصرين ( من ألقاب الفراعنة )  
لأن سره إذا حل في سب مشي . أو في طر نقاق : فلا يجدن  
مولاي من . فمن في نشه الآن بالحصرة . لأنه بكنم  
الأجبار . ولا يبيع ناسه ار . قال : الكريم يصحب  
الكريم نهب الآتد . . . و حلف معك اسماء ، وهي الباقلة

الواشية من بين الطير . لاشتمها ، كما نتمت ، والآن لعنت  
تدعوني إلى الدرس . قال : إن أدت يمولاي افتبسم الأمير  
ثم قال : ألا تراني كبرت عن الدرس أيها الأستاذ ؟ قال  
ما علم على بشر أنه كبر عن العلم بامولاي ، ولو سألت  
جلالة الملك وهو المورحي إلى من في الأرض ، المورحي إليه  
من السماء ، لأجاب أن الذئب ميسور بلوغه إلا في العلم .  
قال : فما باله أعنى كثر أم إخوان الأصغر من سامر  
الدروس ؟ قال : وما يدريك أنه يستجيبك ويرجو أن  
يستمر غرس عابته بك . فقد سمعته في بعض الأيام يقول  
لن حوله : إن ( أوني ) لعلى بيان ، وإن البيان لحير مظهر  
الملوك والأمراء ، يسترق لهم الخمر اضر ، ويسعى لهم بالقلوب .  
قال : لو أنهم يختصرون مني من الدروس ، فلا يكلموني  
مها ما يبعده دوق وتأياه طاعى . مثل السمية . وركوب الحين

ومطارده السبع في الصحارى وبقمار ، لا عدت على سائرهما  
 إفعال الجياري استعهمين على لهماكل يلتطرون جواب  
 الآلهة في معضلات المسائل قال من الناس ياءولان من  
 تلجته مبرله في هذا العالم إلى ممارسة ما يكره ، وركوب  
 ما لا يورد ، وأب ابن الذئب ، وهيت بها من نسة يتلاقى فيها  
 أبوك واشمس ، وإيها لتحدث حيث لا يكون سائر الناس .  
 فأنت من ذلك بين أصحاب مواسم . لا تأمهم أن يفعلوا  
 أعداء مقابلين من أنت من فصرى هذا في شبه حصن تحرسه  
 الآن مهانتك ، ولا يحجبك عند الكربة إلا نأتك وشجاعتك ؛  
 وإذا حرج قبان المملوك إلى قتل الموحشة بى الخراب  
 ( كنية الأمم الخارجين من حكم انمراة ) وميعهم من العارة  
 على الملاد ، نصرة للآلهة ومواطهم المقدسة ، خرجت أنت  
 ناصراً للآلهة ، داتدا عن مذك أنك المؤيد بالشمس ، فأنت

إذن من حور . تحب لأول أسير لا غنى لهم عن قلوب  
نفسها ملاقاته لأسود . وحسبهم ينشئها ركب الحبل ،  
وتحرق تحرقهم من الالهة وسوا أعد يقويها تحرق  
باسيوف . وانهم يمولان أن هذه الدنيا لمن غاب . وأن  
"عندة فيها لله . وأن الأمم لا تحفظ الاستقلال موجودا .  
ولا تسير ومفقودا . إلا بالله . فيتمسك إذن على كل إنسان  
بحب لاده بحبة حقيقة . ويدبرها تنسقة أحواب .  
عريضة . مال على الأحباب أن يشتت نفسه بالعصبة . ونقود  
بدنه بقدر الإمكان . ويتم قلوب الحرب في ليله . وأن يشتت  
تلى ذلك . وسوم تولاده أن يشوا على منه حتى راددهم  
الآلاد يوم غضب . اشتدته ثلث من أسائها وشب .  
إن الأسد إذا أقعدته اهرم . شتته الدنيا كإحدى اهرم  
وإن أرادوا حقت رأسه الدهور . توثت حتى مكره



اعصموا. وهكذا الأمة، لا مفر من حتمية، إذ هي  
 لم تعمل "شيعة" رأسها، ولا تتجه في الحرب و...  
 فو، وأنها...  
 رفاق صداد، في التحشيش والتعشيش، وأنواع "البيعة" له،  
 من صيد و...  
 يقدمه على أحد في المعركة، أو يفرق من أحد، في المحنة  
 يرفع من مختلف الأسباب، ومتصوات الأحياء، ثم يبع  
 الواحد ما أحسنه عشرة من عمره، ولا وهو كاشش...  
 لا يقر له فرار، في الحيات والتمسك، وقد أبق وأبد  
 المثلث وهو نحو إلى العشرين، وحكمكم كم حسب رأسه،  
 وعلب كفته أو أشد، وكما عن أنه تخيل مشاركتهم في سياسة  
 الأمور، وأعداه "طبعي" على مداره شئون، في حد  
 عندنا سوا أعد قوية الناس، وعمر تمسكهم، يرأس، ويعتقولا

صحيحة. في حواء قوية قوية. ولا أكسك يا مولاي  
 أني كنت كثير الشكوى منك. أصبى درعا منك القن .  
 وأنعم ببيت المشاق . وأنتهى جملة على شاطئ النيل في  
 ساعة العروب . انكى أحد من نحاس الأكوان وأسرارها ،  
 وأشهد معترك طابها وأوارها . وأنظر إلى المساء إذا فهد .  
 وإلى ليلات إذا سجد ، وإلى ظهير إذا حمد ؛ وأسمع ذلك الخريف ،  
 تنبيه بأصواتها . واعر . وقد امتنع للكائنات هيكل من  
 صخرى جدها . فهي تنجد الألفة فيه وأنا أعجدهم معها ؛  
 إلا أن والدتي كات بعض على قصص الوحوش من اشعوب  
 الذين أعمر على مصر في الزمن الأول ، وتمثلهم لي في  
 أنطق الصور ، ونصيحهم بأفصح الأوصاف . فيجاءهم الدواب  
 العري . يدور الأسود المصرية . يداهم شياطين العاصية ،  
 فروا من الحامة . ويرتد من ثوبه . وكانت تقول لهم

لا يهرون إلا من اسلاح . ولا يعصم منهم إلا السواعد  
 امثلة الصالح . فكنت إذا سمعت ذلك منها ، فصررت  
 الشكوى ، وصررت على تلوى . حتى تمت الجسمى الثرية ،  
 لا تقطعت تهذيب نفسى .

قال الأمير . ومن لى أيها الاستدأىم كائى ذكرت ؟  
 إن والدتى أول الله دلالات لى على ما أأ فيه من إجهاد نفسى ،  
 وإنعاب جسمى ، وهى ترعم أنه مادام المأىك من بعد أى  
 سببىر لأهى الأصكبر . فلا حاجة لى إلى مثل هذا  
 الكد والكدر .

قال ويح الأمهات اظالمنا جبن فهدت الرحمة عذرهن .  
 أنت يا مولاي إن لم تكن وارث الملك فإنك وارث الملك ،  
 وهو على صفات لا بد لك أن تكون عليها . لأن المسؤولية  
 فى هذا العالم قدر مبرة الإنسان فيه . ومن أرفع مبرة من

ابن رمسین لا عن أن نحة أخت لك ، ونحته فيث يوم  
 يسفل إلهاءك تكمن بقدر قطط من مزاج ، ونصيبك  
 من القصص دون كاء ، موهوبين وكان أحوال راءت مقبلا  
 عليك ، كس سعدة في المنك . ومساعدته في أخلك دون  
 فاك منه هدا ، عت إحصاء نرس سبي لعظيم نسبك ،  
 وكرم حـ

قال أنظر أهبنا الأستاذ أن يخرج مما عساه أهد  
 رمسین وحن حمون أو سید ، من شه آه ، وخصو فی  
 سل الفجر حظه

قال مثل هذا السؤال يا مولای ينقه أبناء الملوك  
 ولا يبالون ، لكن اخرج كل اخرج على من يسألون ؟  
 قال نحن الآن صدقنا شهادت ولا نختلف قال إني  
 أرحو أن تكونوا من بعده كاء الورد بعد اورد يحفظه

شيء ، ومعه من أن موته شيء . إن السعادة يا مولاي لم تكن  
هنا كما كنت لأيت في جنة ، هو نكتته ، أن تنق عليه  
بعد مماته ، ولن يصح ما اعتقد من أن الإنسان قد عيا في  
سله ، وسعت في فرعه كما يبعث من أصله ، فرما حتى لدى  
أحدكم ما يموت من فصله : لكن من كان من عند الله الحكيم  
يظهر ذلك القصر للمعاد . وباحظ العظم بشارته في الملاد ؟  
قال : صدقت أيها الأستاذ . فهل تدعى عني . من السعادة  
ألود إليه فأسلو ما لا يدرك من محكاة أو في ملوع  
سعدته الخالقة ؟

قال : نعم ، لشره . في يوم محوره الموت والامران ،  
وأفصل ما نزل بالعلم وأثبت ما يكون . وحسه وحاس  
أصح به ، واحده وسعت أن يقل عن من نفسه ثم إن رمسيس  
هذه هي لاه الحقيقه ، وسعدته هي لا يعرف في هذا العالم

إلا الصخرة . أنقبتها الالهة عليث .

قال المدهد .

وبينا أنا أنظر أن يدعو الأمير إلى الدرس ويأخذ في  
إلقائه عليه . إذا هو قد تشاب كعادته . ثم التفت إلى ملو  
الجمين من السعاس فقال إذا جاء الليل دهمت الشياطين ؛  
هلمي أصيل العد على باب القصر . فاستبغت من حسي ، فإذا  
أنا في عشي بملوان .

---

## المحادثة الثامنة

حدث الهدهد المسحور ، اندحبل في العصور ، كحل ذلك  
الساطق في السور ، الساب في مظهره والمشور ، وما هو  
إلا يتماور ، شاعر الغد المشهور الخالد ذكره مع الدهور ،  
أنشأ شيطانه ، ونعت يائه ، وأرجع للناس رمنه قال  
لما كان الغد وأروى الأصيل ، حرجب إلى صيف ،  
المبيعة بقوة الخيل ، المتمثلة كما كانت في البصر الخال ، إذ  
المالك رميسر اعظم ذو الحلال ، وإذ لميت في دروة  
السعد وأوج الكمال ؛ فبلغتها وأما حوران لا أدري على أي  
أبواب القصر ألقى السر ؛ لأنها متفرقة كثير وقد تقدم  
القول بأن الدار العرعوية تكاد تكون تلك المدينة من  
الناس في السعة وكثرة المشتملات ونمعد الأطراف ؛ لكل

روحة في أحسن مصوره ونوره بمحوصه يوم كثر  
 البوحا أو كل مدغاف مصصة ومفاس معزلة  
 والملاك كثر المين ولبات ولا س ع احشيه وانترتهم  
 وما به دلم من م ك عصف باختلاف مناظرهم في القصر  
 وتفاوت تفاوت موافقه في احدهم في الدار مهم آلاف  
 يؤذون احدهم مدوعة وبمارسون مصاعف الحشمة  
 وباحلة د مصر استدان من امداد ميان وسبعة الخواب  
 والاركان بحجر لا تحصى أبوابه ولا من أحد عشر  
 حين انتهت إليه وحته من لب الذي دحاه بالأمس  
 وحيتند ذكرت أن ساعة ساعة الدرس وأمر رمب فقيت  
 الأستاذ في مهر الأمر ونور فاحتت حتى دحت على  
 الأمير في عرفة جنوسه ولا والله ما عقلت الممن يكون اب  
 ولا أوردتها المراب بل إذا بالأمير وجمع من إخوانه



وكسر لأنواع . قد داروا كاحقة . بغير . وهو في يهزها  
يتلف هم في تعليم . ويخصاهم كمة . والتدريس . فوات  
في عرف هناك لخطط فوفه . وأمر صبور . بما وجدته .  
قريب . مما شئت . ثم أقيت . سمع . فسمعت الأسير .  
يقول

والذي يميز عدا . هذه الأمة على . مح . ويخرجهم . إلى  
الغايات . ويكمل لهم اسبق . ويجعلهم أمة . وفيه .  
ومصاييح عصر . أنهم يطردون أعداءه . ثم لا يفرجه .  
ثم للأحداث من عدم . وهذه الثلاثة ما قامت بغير حال  
على . أروق الحما واندكاه . فمسحة الأجل . إلا مع في حياته .  
ثم جنود ذلك إلى رنة الخلود . يذكر بعد نساته . في أيها  
الأمراء . ومن يلود به من أحوال . والكبراء . من حب  
مكم . لم حاصدا . وحده . في أحد من . ومن

حضر معكم بحلى هذا وهو فرع العواد من حب العلم :  
عين ساهية ، وادن لاهية ، وحس في راحة وقلب في ماحية ،  
قلبا أخذ العلم من عيسى !  
قال المدهد :

مرأيت ، وما أعجب ما رأيت أ رأيت أكثر الحصور  
اسألوا من المحسن ، فدهشت لهذا الصدوق ، وامتنعت من  
القوم هذا الرجوع في الصميم إلى الحق ، ودكرت بحلس  
من هذا القليل بعدد ما بهن الكبراء في مصر ، نظاهرا بمحنة  
العلم ، ويتصدر فيها للدريس عباد الشهرة من العلباء ،  
ويحضرها المص دباء وتملقا .

ثم استمر السر فقال  
نحس العلم بطله ثباته ، وهذا أول التوفيق في طريق  
التحصيل ، وسبب نجاح الأوثق ، لأن النفس حيث رصاها

وحيث يجعلها هواها . ومن رصيف نفسه بالعلم قفيا من  
أول يوم . وامتد فؤاده من حبه ، أفل عليه ، وصن به ،  
واقطع له ، وأبى انتع راحة في تحصيله ، واستوى عده  
السلامة والمط في سبيله ، ثم لا يلك العلم أن يعرفه قدر  
نفسه ، وأنه ما خلق في هذا القويم مدى ، ولا ساد نوعه  
على هذا الوجود عشا . فأحده من ذلك عرة باحق ، وتزل  
منه في عيه ميزانها الحقيقية ، يطلب العلم لها ، ويستكثر  
منه لأجده ، ويعزى فيه إلى العايات في سبيلها . إنما استمر  
عده من أن العلم يحيي المرس ويرد بها ، وتضيقها على الحياة  
وأسرارها . ويوصلها إلى كنه أعوارها ، وسهر لها نخبها .  
ويروى عليها هو أجمع في ديبها وهذه هي المنة شابة في  
العلم ، يقيم عندها سواد القدر . ولا يحذر رها إلا آخذ  
سحرهم الآفة هذا الوجود ، فيمنون فيه أهل العظم ،

ثم نوب من ثلث في شخص حبيب ، من يدان يخلدون ،  
أو حكمة يؤثرون ، أو يجد يشيدون ، أو من يجتدون ، وهذه  
هي سنة الامتياز بالاحترام ، ولا يقل عن أمة إلهها بحياة  
وهو وحده ، حتى بلغ أمر ذ من سيم هذه الرتبة ، ومن  
كان الله في الأرض عددا ، عرف من الجود في السماء ،  
فهذا امر في منهم كالسكاك أي لم تعرف بعد ، يكشف  
من واحد على رأس كل مائة ، وإهم لأجل منها وأفع في  
الوجود وأقصد للناس وما مع هؤلاء العبد إلى هذه  
الرتبة لعبادته ليعظم إلا ترفيه في عرفة قيمة النفس  
ومر لأهم بها ، واعتبرهم أنها لا تهي ، وأنها أجل عافية  
وأصغر شأ ، من أن تحصر أمة الحياة "فملائك" ، وثمن ختم أن  
تخرج يوما ما من هذا طسكل الرائل ، فلها من حمل الذكر  
ومحمد الأحاديث هيكل حائل وحر ، يتجلى في الخواطر

ولا انا اصر ولا يستر ملكا ولا ملكا ويستر  
لده ما كان من

قوله طه

ثم اصر لا يستر ملكا ولا ملكا ويستر  
قوله في الامانة وقوله في الامانة  
كده، ففهمته فيه ولا حجة ان عني من قوله كده  
حي ارا انصر من حجة ولا حجة، ففهمته فيه ولا حجة  
وحدث بحجة انها الخدم

فان الامانة لا يستر ملكا ولا ملكا ويستر  
واصر لا يستر ملكا ولا ملكا ويستر  
فان الامانة لا يستر ملكا ولا ملكا ويستر  
وحدث بحجة انها الخدم  
فان الامانة لا يستر ملكا ولا ملكا ويستر

فقد أمر بي يخرق وسيمسك الدور ، وحتي شاهدت  
القصور ، وهو يمينها الى واحد بعد واحد ، وربي أهلها ،  
ويصحب فيها ، حتى نقى الى قصر لا يبلغ انصر درونه  
ولا يدرك سفته ، فصل في مساكن ليل حصة ، وعن  
قامون عليها .

ثم وصل سيرة من رخص بادرة ، وحدائق امرة ،  
وسور وسيمة ، وسوار ربيعة ، ومقاصد كابد الخصال ،  
تموج بالحواري والحدائق ، الى ان بلغا إحدى . . . وكان  
على بابها غلامان يحرس . . . فوقف الامتد ثم ان احدهما  
ابن ، نخوت ، فأخذه في عرقه سكتة يمولاي . قال :  
أذهب هاتين ساعيتي .

ورحل الامام يوسف الرسالة ، والتفت الامر الى فقال  
رأيت جميع تمواحيه في . . . فمن على الايام من مداحي

في ساعة السكينة ، وقد استأذنا ، فدخل تحت بستانه ؛  
 وما كاد يسلم حتى خرج ليأفقه مبيع صديقه ، حسن  
 الرئي . ترى دلائل الله على حبه الوفاء ، وحتى بين يدي  
 الأستاذ وقال : إني ما جئت من محبة وسكرم ، مولانا ؛  
 ثم أخذ يمدده ، وحلأ وهو يظن أني ، عول للسر ؛  
 فله فهدك البحر الذي شاع دكتره في المدينة  
 بانه ، لا ، يـ ، يسكر على من تحب ، أن يسهر  
 اهداه ؛

قال كيف أنت وإسك يا تحوت ؟  
 قال أوصل مولانا ، فمن لي أن أكون أصدق عبد ؟  
 يعني كعصر ونده ، شق بي كنهض فدمه أحماله ، ويؤذني  
 بلاشرد الخوة ، ، حكمة عالية والصبيحة عالية .  
 قال حكاه فهو ، إذا صادوا ألقوا ، وإذا عادى أدل ،

وإذا أحب شعب إلى أبيه، ولم يأتوا به لا يرجع عن شدة  
 ثم حلت الصالحين، وعرف عنهم أعلامهم من  
 عتيق المبيد، فعلى الناس دفعه من أي الكرم  
 هذا المتيق يا حبيب

قال مما يخلص به ذلك يا مولى ولا يوجد إلا في  
 حوائه، وقد تم صاحب شرفه أن يملأ رفاقه كتاب  
 فرغت، وسعد ذلك آت حوائه من ماله إلى أن يولى  
 عنه شدة يده المقدسة، فدعيت به، ثم دعت أبيها من  
 المعوز، كان حبيب محمود، فماتت بسبب خوف الحوز،  
 من يدوي ماله لا يرجع من حوز، فماتت ليها نجي، في  
 كائن لا نفس ولا تنقي، فذوقه سبب رخصه عندك شدة،  
 ونشر بها عمر شدة بك



سُرَّ امرت بهدء الحكمة في شكره ، وكان ما كان  
من امره .

قال هكذا لموك اعطى . يختارون على شاء . ويأخذونه  
من عدهم الامم . و لا ندر . يا دعوت ان سالك  
مدا تكس ؟

قال ١٠ . مولاي ، ما كنت في عمرى حراً  
ولا عرسه عيب ؟

ثم منى المعنى إلى مضه الحكمة ، وكات عليها رساله من  
إشانه ، حيث مدادها نو كاد فأحدها . ثم دفعها إلى القصر  
وهو يقول : هذه الرسالة منى إلى أخى ، أحد حود الملك  
في أسطول البحر الأحمر . أشك . فيها من نض . مكابته غنى ،  
وأشكره بمنزلة الخديعة في الخدمة " شريفة ، وأصف له بعض  
أحلاق الملك .

قال الأستاذ : ما قرأ الكلام مثل كاه : فقد

فأسمعنا يا نحوت

فتناول القتي الرسالة ثم قال : يا أخى ، ما شغلك عني  
وأنا المشغول بك ، أعتنى بأمرى ، وأسأل عن حرك ،  
وأذكرك في السر والعلاية : أفرع بالشكر من هذا  
الجعاء ، إلى شيمتك الوفاء : أم أعوذ بهوروس حامى حى  
اشعور ، ومنشتر تلك الأساطيل كالأخمال في الجور ، أن  
يكون بين حده من يدى الصديق وسم عن عهد ، وقد  
عرفت نفوسهم يلوفا . كما وضعت منجود : الإباء ؟ وش  
أخذت بقسط من العزة التي هي لجود الملك بالحق ، فأبها  
لكم حراقة الحد واما معشر الخشية . وما سوانا من الناس  
فأشبهه ، إلا من حسب علي ، فنع ذلك الحام . ولعله عني  
إليك أى أردت من خطوه ، واستعنت في نس العجار

خطوة : فجعل على ملابس الملك أسرها وأطوبها ، وعلى  
جواهره أسهر على حفظها . وقد أشرفت من الأمر  
في أوله ، وحلته وأمر أنه حسيم ، وأنى فادم على ملك  
نام المهابة عظيم ، فلا والآلهة وبناتهم ، وآباءهم وبناتهم ،  
ما سمعت كذبته ، ولا آتت كشره ، ولا رأيت كلبه ،  
ولا عرفت أن اعتزاراً بالديار منه ، ولا أكثر ذكرأ  
للآخرة : إذا دخلت عليه ثياب انك قال ما هدى  
العوارى يا تحوت . وإذا حملت إليه انك قال : ألبسني  
يا تحوت فلا تشبدي شتا يخرج منها غدا . وسألني حلته  
مرة : ما أحمل الثياب يا تحوت ، فقل : ما تعمل ، ميت  
قال : كدت رأت : أحملها ، لبس الفقير بعد العي .  
وثيابي لا تصلح لغيري بعدى ، فمر ضاع لباسي ألا  
يفشوا رموزك على جميعه ، وأن يقصروا ذلك على

ما أتخدمه في الحال ، وعسى جده له من عوالم خاتم في  
 أخزانه ، فمشاهدت عني ، فأنصت ولم أحسر على تحاضره  
 بعد أدرا إلا أنه عند أبي وأمي في البحث عن طيه ، فسلم  
 ثم قال : أحتاجكم لك إن وحشة يا نخوت فأضرب هبة ثم  
 قلت في السحر يامه لاى ملكة تده إلى ما يند لها ملك  
 حتى الآن ، وهي لحلاله ملك إن وحدها ، فاستصحك ثم  
 هدب طرفه في الخزانة حتى عرفت الخاتم ، فقال : هو ذا  
 الخاتم جده فهو لك ، نخوت ! فقلت الأرض بين يديه  
 شكرا ، لأنعمه ، ثم نخول عني سمعته يقول : ألى آمون ،  
 جتنى لعصب وأذنبى أحسن الأدب ، واجعلنى من تشبه  
 لست ، يعاقب لست أو حدى حامد على مبرلى الجديده  
 في خدمة الملك ، فوشى و عند حلالته وقال عني إلى أديع  
 كلماته وأقبل ما يدور بيد من الحديث فقال له الملك

ثم قال فليس في الدنيا من هو كذا  
 في عيني انما هو ، واني فخر من حرمه ، وقد  
 اموت اثنى عشر مرة ، وهذا من رايك ، واحذر  
 اذنه للناثم ، وهذا من الالام ، وهذا من احدكم عند حرمه  
 حتى كثر الحيف عليه ، وهذا كما هو في حرمه على حرمه ،  
 مكره وصبره عن الحرام ، وهذا من رايك عيشه في الدنيا ،  
 ولا في الدنيا من احببه ، له انك من ان يحلف  
 اني انما اريد ان قال هو اني ، وهذا من رايك  
 اسبح الى من عذابك ، اني ، وهذا من رايك  
 صبره ، حتى احب من احب به ، ولا في حرمه  
 ، وهذا من رايك من كثرة من كثرت اثنى عشر  
 مرة ، واني اني ، وهذا من رايك ، وهذا من رايك  
 بولاه فتقول ان من حرمه ، وهذا من رايك

ولو نظر إليه غاضبا من أبهة أدب وعظمة حواسه ، وإن  
جوده موكب اجود حسنا مشرقا أنت فيه يا أحن من  
إعزاز لوانه والاعتزال به ، وحماية منه والاحتفاء بها ،  
والحياء في ظل ملكه وأيوب دون شرفه الأبع .

قال المحدث :

وما كاد تحوت به يع من فراءه رنة ، حتى شرب  
النسر ، وانتمت إلى عقل الحصان ، فليس ، فليس ، إذا جاء  
الليل ذهب شيا مني . فأنمي عدا في دار الأعمى ، بسادر ،  
فخرجت من صوة نيت الأحلام ، إلى كدر اليقظة  
بين هذا الأنام .

## المحادثة التاسعة

قال المدهد .

فلما كان اليوم التالي ، قضيت النهار في كذ وكدح وتعب  
حياه ، وأشعل دنيا ضالها حائث ، على ماء دائم ، وليته دائم ،  
إلى أن كان أو ان الموعد ، هزت إلى مف ، وأنا لا أستطيع  
للعيط كلها ، ولا أملك في أمر السر حلها ، ولا أظن أن  
سأعتمدى إلى ذلك الأعمى . فلما بلغت ماء ، ماء ، الدائم ،  
وقدمت أتم المدن لقدايم ، تطارت إليها نظارة مرتاح . وقت  
لديها على جناح . وقلت في نفسي صفحاً للسر عن هوائه  
إذ كان هذا الناظر من حسنه . وهكذا الإنسان لمسى  
ويذكر ، ويكفر أحياناً ويشكر .

ثم فكرت في الأعشى وداره ، وما يقتضيني السر من  
مزاره : سألت نفسي من يأتري الرجل حتى يزوره  
السر ، وأى العميان هو ، هم كثر ؟ تراه ، ششون ، في الهيكل  
ابيض ، أم ، المعزى ، قام من الحدث ، أم ، يعقوب ،  
ايضت عيابه ، من الحزن على لقاء : أم ، نشار بن برد ،  
قام من اللحد ، أم ، أبو العباس ، الأعشى ، أم ، دريد بن الصماء ،  
أم ، الحليمة ، القادر ، في أيام محبته ، أم ، حسان بن ثابت ،  
في آخر مدته ، أم ، الشطبي ، أم ، طويبا ، البى ، أم ، هويرة ،  
اشعر ثوناني ، أم ، ملبون ، الشاعر الإنكليزي ، أم ،  
مرصى : هذا الزمان ، صاحب ، الوسيلة ، والكلم الثمان ،  
وأول من علم الهدى البيان ، أم ، دارد الآكه ، أم ،

(١) شبر الخراب إلى أمه ، المرصى .



« اس سیده ، أم « أَطْلُبُكَ » ، أم أكنه المسيح ، أم أعمى  
عبس ، أم الأعمى الذى قتل البصير ، فى هذا الزمن  
الآخر <sup>(١)</sup> ؟

ولم يبق أعمى فى الزمن العار ، إلا مرة ذكره بالخاطر :  
ثم قلت : لعلها تعمية شاعر ، والرحل مرعى الصائر فتشابه  
البقر على عندندٍ وقلت : لعله أحد المر <sup>(٢)</sup> الذين أموا لمحمد  
على وانتظموا فى تلك الصفوف ، ملاقوا فى القلعة الختوف ، أم  
كروجر فى بلدان العرب ، لاي ميدان الحرب ، يظن أن  
الاقواء مُقدوه من الكرب ، أو أحد سمراء الدول فى بكين ،  
مند انتقموا على الثقة بالصين ، أم من هؤلاء المهوسين فى  
البلاد ، الذين يطلبون حق السلطان ، مراد ، وآونة

---

(١) يشير إلى حادثة وقعت فى أيامه .

(٢) معنى بالفز : المالك

يؤمنون من شاءوا من العباد ، ويريدون من هـ عند الخيد ،  
وهو الذي لا يجري في ملكه إلا ما أراد ، أن يصح كهذا  
الذي قال عن نفسه وأجاده

أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قلُّ مُتعتعا عليه  
وكنزٌ واحد باسمه الدنيا جميعاً وما من ذلك شيء في يديه<sup>(١)</sup>  
قال المدهد :

ولو أردت أن أحصى عُنى الصائر ، على ذكر الأعمى  
سادر ، لما استطعت أن أحصى نصف الدس ، على اختلاف  
الأصناف والأجناس ، فيها أمانه بكر حذر ، ما من في الجور

---

(١) ينسب هذا الشعر إلى هـ المعتمد ، أول من سلبت سلطته  
من خلفاء العباسيين ؛ ويشير المؤلف إلى حركة المطلبين بالدستور  
في الدولة العثمانية

طائر ، إذ طاف في من الجوارح طائف ، فلم أدر إلا وأما  
بين جناحي خاطف وهو يطر إلى مبتدئها ويقول : لقد  
أتمنا الهدهد بالاسطار . قلت وبذلك الأعمى في تلك الدار !  
قال : أما الأعمى فمسيب رت هذا الملك ، وباني هذه  
الدولة : عمي إذ بلغ به الكبر ، فكانت هذه أبلغ لعب  
وأما ، بسادر ، هي الأسماء الدائرة ، وإنما رميت «ستعارنه»  
له إلى أن الدهر قد حكم فيه فصار كبعض الدس . قلت  
يا أسعاً على ذلك الوعد ، وباحسرتا على تلك الأمية ! لقد  
أخطأتني ما أقمت من القدوم عليه ، وغابى مارجوت من  
انظر إليه ! قال : ستجده أبصر في العمى وأسمع في الصمم ،  
وتلفيه متلبساً بلباس الفتوة في الحرم : فتملم أي استأذنت  
لك عليه وهو على عظمة من قوة الوجدان ، تعدل مايلع إليه  
من عظمة الملك والسلطان .

وصاحب لي أعمى مداؤه المبصرون

يريك في كل قول وكل فعل عيوننا

قال الهمد:

فقلت حكم المرء ورصيت بهذا النظم الزر، وقلت:

قد آن أن يجز مولاي وعده، فإن أحاف ألا أرى

رئيس بعده: إدامت العمى والصمم، وتبالح الهرم،

إلا مخنوم الدم!

فأصبح الأستاذ، ثم قال: الآن تقدم عليه، فإذا

أقامت في الخطاب، فبالغ له في التحية، وشبهه بكل قوى

في الأرض والسماء، عظم في العبراء والزرقاء، واتع

في مدحته ستاً معشر الشعراء، من المصريين القدماء: وقل

في قاهر الأمم الأربعين، كما قلت في قاهر اليونانيين

أمولاي غنك السيوف فأطربت

ههل لبراعى أن يفتى ويضطرب ؟

فمعدى كما عند الظي لك نعمة

وختلف الأندام الأس أجلب ٣

هيا الملك وإن أشرق وجه الأرض من ثائه ، وامثلاً فم

الدنيا من مدحته ، وتبهرت ذكره الأشعار ، وبرت أعماله

القاتلين ، وتكاثرت صافقه على الباطمين ، فارال يهزه المداح

وما لك بطرب للإطراء ويرتاح

قلت : مستجدي يا مولاي من المحسين .

وعندئذ حملنى القسر إلى القصر ، ودخلنا حجرة ليس

أجل منها في الباطر ، ولا أجن منها في الخاطر ، في وسطها

سرير فاخر ، وهو يرهو بالجواهر ، مضودة من الخشب

البادر ، اصطابع فيه رجل يعصى من مهابة ، ولا تشك النفس

إراء حلانته ، حفظ الزمن العضاضة على وجهه النقي من  
الشعر . وعلا الناح منه رأساً ملء الناح ، وهو كالتشال  
له عيتان ولا يصير .

وكان الفسر قد تمثل بشراسوبيا ، واستأذن في الوصول ،  
فاستقدمه الملك ، فحين نقل القدم في الحجرة العالية ، استقبل  
مولاه مستجعماً من الخشوع ، عاصاً من بصره من المهابة ؛  
ثم قال : سلام من هوروس إليه . سلام الآباء والأجداد  
عليه ؛ أيها الشمس المصطاعدة في سرير مجدها وصوؤها  
بعضى اللاد . وبعث حياة للمباد ، هدا هدهد ناطق ، انمرد  
في الآجرين بتقدیس دانتك ، والتدح بصفتك ، والبكاء  
بعدك على رفاتك ، فاستحق أن يحسب على الففاتك .

قال الملك لعله هدهدك السحري يا بقاء ورا

قال . كذلك لقبوه في المدينة يا مولای .

فمن بعد من كان في ذلك الوقت  
أبداً لم يزل في ذلك المكان  
والله أعلم بالصواب

الكافرين . واستعدوا مهم العلماء الباحثين : أم أكذبه  
وأمره واضربه ، وأعل ذكره وأغليه ؟

وكان الأستاذ قد نظر إلى نظرة مُعصب ، كأنه يبهني عن  
التردد ، فأشددت :

رميس يا كل املو : ويا جميع العالم  
بعدي مليون الشمس كـ من مسلسل من آدم ا  
والصفت إلى السرور أيتها يتهلل . همت أن قولي أرساه ،  
وأن الأملات حرت على هواه . فأردت أن قلت عمت  
الأرض يا مولاي أنك حير من ملكها ، وأنجى من  
ملكها ، وأفصل من تركها . وعلم الأحياء أنك كنت  
كانت لا تسكن ، وكلية لا تدفع ، وكل الصخرة لا تستجف ،  
وكل السماء لا تعاقول ، وكل الدهر لا تنم ، وكل حجم لا نعبا ،  
وكل سيف لا ترزق . وكل الدنيا لا تنكره ، وكل الحياة لا تمل ،



وكالشمس لا تنزاع ، وكالسمكة لا تزني ،  
وكالبحر لا تزحم ، وكالذهب لا تراب ، وكاللبث لا ثبات ،  
وكالطيب لا تنكم ، وكالار لا ندس ، وكالعارض لا تمارس ،  
وكالريح لا تسابق ، وكالطود لا تصدم ، وكالد لا يؤمن ،  
وكالهراب لا تستذل ، وكالحق لا يعلب ، وكالعادة لا تتبدل ،  
وكالسلامة لا تعاضل ، وكالنذر لا تنواس ، وكاليل لا يدري  
ما تأتي ...

قال الهدهد :

وحالست الملك وجلساءه انظر . في حديثهم مصطنع لما  
أرغرف من الشاء . ورأيت "فسر ينادي تهلا . شجومي  
ذلك على منامة الخطاب . فقبت : وعبوا يا مولاي عن  
صدك أملك ملكك الدنيا في رؤيا فبين أن توبد وأن تحيا .  
ثم ما حاورت لعاشرة حتى امك بيدي ، والأيام من حديثك .





وترحله ، وإذا خطرت على الدال وأنا في دروة الحمد وأترح  
 العظمة ، صمرت نفسي في عيني واحتفرت في خاطري  
 واستحييت من اناس أن ألقاهم بوجهي ، وهي الملك  
 المسوى اتسم بين الأحياء ، الميعم لهم بالحياة على السواء ؛  
 وحديث تلك الحادثة أمي أخرجت العذو يومذاك ، بعد أن  
 أنتم الآلهة في النصره عليه ، فاساق بين يدي شيوعا ونساء  
 وأعدالا ، وأه أصادهم وحدي ، فأيدهم بمركتي نارة ،  
 وسماي أخرى حتى صادوا في طريقهم غابة ، فاستعصموا بها ،  
 هو لختها عليهم ، وجعلت أصادهم في أعالي الأشجار ، كما تصطاد  
 الطير في الأوكار ، غير راثي لحالهم ، ولا راحم صمامهم ،  
 وكان فوق شجرة هناك رجل شيخ أعشى قد تعلقها ، وجده  
 حب الحياة فعلقها ، فربته لهم فأمنه ، فصرح قائلا :  
 . أعشى أصاب أعشى يار ميسر . ثم سقط ينحط في دمه ،

فامسحت من فوري عن متاسة العتث ومواصلة البطش ،  
 وكانت تجاه البقية الباقية من أولئك اعمارين الصعلاء ، على  
 لسان ذلك «شيخ الاعمى ، الذي ماوعطى مدكست غيره ،  
 ولا عرفنى ففترّ بسمى سواه ، والآل أحسن كان السهم رُدّ  
 إلى مُرسله ، وأن ذلك الاعمى أصاب هذا لاعمى : يا أيها  
 المعمرون بعدى : لا ترميكم الأيام ، وانقواسهم الاتقاس !  
 ثم حول الملك وجهه إلى وقال .

وأنت يا صاحب السر ، وشيطانَ الشمر في عصر غير  
 هذا العصر ، اعلم أن المجد والعظم في الدول والامم ، يقتبان  
 إلى بُناه العسطاط ، وأنهم خيرُ من ورث الليل بعدى :  
 ظلمتُ وعدلوا ، وتطارفت واعتدلوا ، وأسرتُ وأطلقوا ،  
 واستعبدتُ وأعتقوا ، وحللتُ بعدى انحخر ، وحلموا بعدهم  
 السَّيِّئ : ذهبت الديتات وديهم هو الدائم ، وبادت اللغات



خشب من تنقيس ا قويد رب عذر من رب مو  
 بموتقة فقت ايها ربك يا ربك عذره عذر  
 وراك نحر عذر الزلة اول و نحر اول في الصلوة رية  
 نسمة عذر بموتقة رية عذر عذر

قل يا ربك يا ربك يا ربك يا ربك يا ربك  
 الى ابيد و يا ربك يا ربك يا ربك يا ربك  
 وسيد انتم من ابيد و يا ربك يا ربك يا ربك  
 من عذر عذر الى ربك يا ربك يا ربك يا ربك  
 الى المزور و يا ربك يا ربك يا ربك يا ربك  
 وعذر عذر يا ربك يا ربك يا ربك يا ربك

قل يا ربك يا ربك يا ربك يا ربك

قل يا ربك يا ربك يا ربك يا ربك

قل يا ربك يا ربك يا ربك يا ربك

قلت : الثالثة يا مولاي ولا تريد !

قال . احفظوا أنفسكم وصيروا ما شئتم !

قال الهمداني :

وعند ثلث الفجر ، فتألمت أمك وأصحابك على أثره ،

فالتفت إلى الأستاذ فرأيت يعالط الكرى ، وسمعه يقول

كلته المعتادة إذا جاء الليل ذهب الشياطين : فإذا كان

أصيل المد فالقى على المعاهد .

وعند ذلك تبدل الزمان والمكان ، فخرجت من مسك

الشیطان ودخلت في صورة إنسان ، وقد صمى ميني بجلوان .



## المحادثة العاشرة

قال المدهد جاز الأثر . ويحيى الخجر ، بتصب فيهما  
العبر . وبأخذ الخمر عن عه

وبدا أصبحت أعدت أسير في يومي ، كما يعمل قومي .  
فباشرت أشعالا لاتنع وأحدث أعمال لازرع وأكلت  
كأمنى ، وشرت كالرحمة . ولقيت الوحوش المألوفة ،  
وجلست المحاسن المعنادة ، وقرأت حرائد مشعرة  
الصفحات ، أفك ما فيها الإعلاات ا

إذا أنت لم تحي الخيرة كثيرة

ولم تنقب دكراً في ثرية حالدا . .

وعشت بعيد الأمن في يوم جملة

فقد عشت يوماً في الحقيقة واحدا !

إلى أن سرى الحصين ، فذهب من شذمه إلى شذني ،  
وعطى صفة إلى صفة ، وكنت أحب من كلمة السر في  
صريق ، وقد سمعته من الواقوف في عندهم ،  
ويزعمون في عندهم ، وأعلم على مواكب دولة  
العرب ، أن أبا عبد الله قد أطوى فيها بمقرب  
والدولة الأولى ، وأب قاتل على تصيدته ، مسددا  
وحوله العرب ، وأدرك على هذه الدولة إلى وصفه ،  
ما كانت عليه من الأساطيل والتمدد القوي ،  
الملك والسلطان في دولة نعمة ضده ولم تنصر ، وكان يرجو  
أن يستدفع الخضر نظيره ، فمطري حيث شئت وب  
حراحت سوف يحيى إلى ، وفي صوره هذا الفجر سري  
الأساطيل في أيام دولته ، حيث رعموا الشمس لا تيب  
عن أملاكهم ، فتم رأت هذه الكلمة عنهم إلى الإسكندرية .

[illegible]

علی و حسن و حسین و علی بن ابی طالب  
 را در دو قصه که در این کتاب است و در هر دو قصه  
 دلبسته ایست که در هر دو قصه در هر دو قصه  
 هر دو قصه در هر دو قصه در هر دو قصه  
 مشهور است که در هر دو قصه در هر دو قصه  
 عشق علی و حسن و حسین و علی بن ابی طالب  
 علی و حسن و حسین و علی بن ابی طالب  
 فاین قصه در هر دو قصه در هر دو قصه  
 آمده است و در هر دو قصه در هر دو قصه  
 و در هر دو قصه در هر دو قصه  
 کیبوت است و در هر دو قصه در هر دو قصه

الدول من قبدهم . فقول في رضى . هكذا الحكيم . وإلا فلا .  
فلو رد أمير المؤمنين على رضى الله عنه إلى الحياة ، وهو  
أرهد حقيق الله في الدنيا . لمب أحد حقيقة الهد إلا عن  
هذه الأمة !

وبينها أما انظر حولي من معتبر . وأخرى تستعبر .  
إذا صوت المير نسبه في إليه . وواقيته ، وكان عند عدى  
رمسيس وهو من حجر . وعنده بالأمس عند رأسه وهو  
شر مختصر . وتدر حطان يقول ما بال اهدهد يستعبر ،  
أبكمه من الأيام أن تصرف بالأمم ، ورعاها طاجن على  
الدراة . وسيهه على رقاب الأقوام في الحرب والسلام ؟  
انظر يا نبى إلى احسد كيف حل الأمة على الإلزام  
بانقود بعدا بدنه . ولحيث في ديارهم ، وانمت آثارهم ،  
وهذه القبة الباقية من دارهم . فقلوا احجر ، وحاروا

الآثار ، وسوا الخائنين والنصوة ، ودحوا على الأموات  
 الخضر : ولو استطاعت إحداهن أن تدعى ضد بعض هذه  
 الآثار بطلت ، ولاملأت منها هرس ، فأيتها ، هروما :  
 عهد صدر عن الرومان أنهم كانوا يسمون رومس الخائنين  
 بما ترك اليونان ، لأحسام بما صنعت أيديهم ، وبالعكس :  
 ثم يؤمنون أن الذئب من عملهم ، وهذا عدد ذكر اسرفة  
 غابة ، أتى على شيطان يابى عشرون قرناً بحدود الآثار ،  
 ويبدى على ملول الديار وهي هب يد البلى والدمار ، هم  
 أعهد أن أبدى الهائين انغصص منها ، وأكف الخمرين  
 انكفت عنها ، إلا مد هط انغرب أرض مصر ا

قلت : إليك لطري القوم يا مولاي !

قال : وإيه لأهله يابى ، قد حكى بين الناس أعدل من  
 عمر ، ولا سارهم أخص منه ، وإن صدق أن في القول شيئاً

من قبل فاعلم بان كل واحد منكم  
ورث سبعين الف درهم من ارحمة الله ورحمة  
في ابدوره على ما انزل الله من كتابه  
في من انزل الله من كتابه

وكان الله عز وجل قد علم ان كل واحد منكم  
راى الله عز وجل ما كان في قلبه من شيء

والله اعلم بالصواب والى الله المرجع والمآب  
والله اعلم بالصواب والى الله المرجع والمآب  
حقى الله عز وجل ما كان في قلبه من شيء  
الجنة من كل ثمرة ثمرة من الجنة من كل ثمرة  
في شجرة وباركوا وهدوا اليهم من كل شجرة  
وزاد الله في ما انزل الله من كتابه  
ونزل الله من كتابه ما كان في قلبه من شيء



يدفعه ، حتى انتهت إليه مرة أخرى في مصر ، وآت إليه  
سلطة العسكرية في هذا القطر ، وأصبح من رة المص  
بين رحى الاحلال ، بحيث أصبح صوته في قومه ومن  
سلو الكلمة في الحكومة المصرية . حيث لا يدع في أمر  
يخاوله ، فمت عند في منه أمر ، وتدرج فيما يدور من  
الس إلى الجهر ، وكانت الحكومة الإنكليزية ، يريد من  
فتح السودان ونشر العلم البريطاني في أرحته ، وكانت  
مشيها ماشاء ، كدأها إيراد رحاها الأمام ، وهاد مصى  
على السودان عامات ' ' . يحقق على دور الحكومة فيه  
العلماء ، ويعتق من احيرة عليه فؤاد ، مرشد .

- 
- (١) في هذه العبارة ما يشير إلى التاريخ لدى انشاءه المؤلف  
كتابه ، حوالى سنة ١٩٠١ وسأق اشارات أخر ،  
(٢) القائد العربى في يوم عاشوراء .



قال كذلك رَيْن عمرو لعمر فتح مصر . وكذلك فتحها  
و تاريخ — كافي — مكرّر معاد . وقد حدث رمسيس  
عن الإقدام ، وذكر لك فضله وشرح لك مراهبه ، وهذان  
دليلان قاطعا عرّضا في الحديث على صدق قوله ، وسواء  
رأي ، وما كان رمسيس ليعرف شوق ولا لصبابة ، لولا  
أنه كادهم وقاسى ، وكان في مقدمة رجال الإقدام . فإن  
أردتم بيك حبرا ، وصمعت قلوبكم أن تتبادروا في الحياة  
عليهم ، فترحم مد الصبر على الإقدام . فيه — كما قال  
رمسيس — سعادة الأفراد وحياة الأمم

فت : أوشك الأصبين ، ولأى أن يخبص دمه .  
أمرت أشعل إلى المسطاح .

فت : بك مقدمة لم يكن ساعها عى والآل لك أن  
تغير معنى إلى حيث الإسلام يحكم ، والأحلاف تسود .

فقد كان أول ما لاقى به من الناس في هذه  
بصرامة ورجحاً لاجتماعه .

فكان الناس في هذه وعدها شديداً - وفيه وفي كثير -  
في بصرته وحسن بصره في نفسه ، ويجوز أن يكون في الأرض  
أو في أحد في جهات هذه ، مرة ، في شكوك في صواب  
الإمامه ، ولا شدة في حاتم من حيث  
على أنه لا بأس به في أن في هذه حاتم ،  
أم تعرف ؟

فقد كان أول ما لاقى به من الناس في هذه  
الحاكم ، يعني عن عزه في ، ويحذر عن صفة الدولة ، وقد  
حصلت حوود دامت إده إرد ، في مصر تحي أسراه في حاتم  
حتى يعبر كنه في رده ، وتكون ، أو مطروف ، في  
وإن كنت مطروف توبه في من السيف

قال هذا ليس شأن سحر و سحر في مصر ، فهذه النجوم :  
 امره لهم ولم في صيدهم ، وسواهم ، وقد كان له ما في صيدهم  
 كمن ذكر من الإله لان على هذه الأكمة ، والمخرج في هذه  
 الأمصار ، على صيدهم وبين أمصارهم ، ذه في أمصارهم ،  
 وكان أصلياً هو على أصيب ، وسفوس بنجر من  
 ' فوس ، والأكية وري الأكية ، وكان مذهب أمروما  
 في عماره لمسيح هو الدين ، وما سواها ، فصر من  
 ' هديان يسوع من أهله ، وتعتدي على أخصائه ، وكان الأمير  
 في عمتي يحكم فيه سوقه من أمروما ، وكانت الحكومة  
 ' مكرى في روماء عما ، عن هذا الظلم المعين ، صدام عن تعظم  
 ' امريين ، إلى أن قدم لعرب مصر ، ونتم لهم على أمروما  
 ' مصر ، والظلمة عمرو ، ولاية ، وسكن أولئك النواص ، إلى  
 ' حكومته السمحاء ، ودحوا في الإسلام أمروما ، يحسن إليهم

تسمع العرب ، وتخط رعيهم ، واجتماعهم على كلمة  
 الإسلام ، ونسارهم فيما جاء به من الأحكام ، وكونه بينهم  
 كالحقيقة لا تقبل الانقسام ، ولا يجادل فيها الخاص فكيف  
 العام ، وأن سيرة العامل وأصحابه فيهم هي أقرب مما أراد  
 المسيح عليه السلام من الناس أن يتساوسوا ، ويتصالحوا ،  
 ويتعارفوا ، وأن يكونوا رحماء بينهم ، وأعداء عما أراد  
 القوس بالناس مد القدم ، من شعب تتدعب ، وفئة  
 الانقسام والتعرق إزاء الحقيقة الباهرة . العرب في مصر  
 صفة آلاف ، وفيهم امتانة ، فكيف معجوا . ثم كيف  
 أصلحوا ، ثم كيف وطدوا فيها سياهم ، وعبروا أهلها  
 لسانهم . ثم كيف استأصروا الوثنية من هذا الوادي ،  
 ورحلوا منه الصراية ، وأرسوا فيه الحقيقة ، كل ذلك  
 في أيامهم الأول بل في حكومة ابن العاص . إذا أصعبت

في ذلك أن الدعوة إلى الإسلام لا تقوم على الخول  
والخيلة، علمت أن العرب تعموا حقيقته ثم عدوه الدس:  
فكانوا حينئذ استعمروا من الأرض كأنصاح النقي، يحمل  
النور اليه.

وإذا أديت م بصها أهبط

حقيقت حياء النور بعد ظهور

أحمد مصاح حواء همد

هـ ب لمصاح لا للنور

قلت أرى الحديث فتح نمته بعد يا مولاي

أحترت لنا من الرئي

قال . قد انشأ يائس للبط والاحتار، واستغراه أحوال

العرب في هذه الدار فما لا تبس لباس المحكوم ،

وتزدى ثياب التؤمر . لكي نظر عبه . ونسمع بأديه .

ہیں کہ شہزادہ بہ لعل و بعد حکومتیہ ، عرفہ دست  
 باختر لا حیر ، و شہزادہ شہزادہ و شہزادہ : و ان کہ  
 باخترانی و شہزادہ : ان شہزادہ شہزادہ : اجداد شہزادہ  
 من رہند ، و شہزادہ شہزادہ شہزادہ :  
 و شہزادہ :

ویدہ شہزادہ شہزادہ شہزادہ : شہزادہ شہزادہ  
 شہزادہ شہزادہ شہزادہ : شہزادہ شہزادہ شہزادہ  
 شہزادہ شہزادہ شہزادہ : شہزادہ شہزادہ شہزادہ  
 و شہزادہ شہزادہ شہزادہ : شہزادہ شہزادہ شہزادہ  
 بہ شہزادہ شہزادہ شہزادہ : شہزادہ شہزادہ شہزادہ  
 قصیدہ شہزادہ شہزادہ شہزادہ :

و شہزادہ شہزادہ شہزادہ : شہزادہ شہزادہ شہزادہ  
 شہزادہ شہزادہ شہزادہ : شہزادہ شہزادہ شہزادہ

فقت هـ، مما حثرت به اعداء مولای، فكيف  
 يملكه عنه وكسوته عجزاً، قال ساعة عجزه اذ ربه؛  
 ولا انصرى، والى قوله، انما هو احد، ما فيه لا يوفق  
 منس في مصر لا يتركه، انما هو احد، لا يوفق  
 هو اذ لا يتركه، انما هو احد، لا يوفق  
 انما هو احد، لا يوفق  
 انما هو احد، لا يوفق

٢

انما هو احد، لا يوفق

انما هو احد، لا يوفق

قال ما يوافقني في هذا رطب، شعر من رطب،  
 ويخبر به حبه، انما هو احد، لا يوفق  
 ولا يجوز صوابه، ولا يوافقني في هذا رطب، شعر من رطب

(١) الشعر المنس

هما أم الشعر وأبوه ، ويحفظون كلمة ماقية ، وأخرى ماقية .  
 هذا صاحبك الذي سَيرَ الأمثال حِكماً وألجَمَ أمثالا ، وجرى  
 في الشعر إلى العديات فحق السابقين ورثاثنين ، يقول  
 هذه الحكمة المأبىة ، ويرسل هذا المثل المحكم .

هذا قصيد الأبيات ما بين أهلها :

مصائب قوم عند قوم فوائد

وزاد يقول بعد ذلك :

نبت من الأعمار ما لو حو به

لهذه الدنيا ما لك حاد

وما أحسن هذا الشعر واللفظ هذا التصوير ، لو لم

يتجرد فيه الشاعر من رقة لقلب ورحمة للعن وكرم الشيمة :

(١) في هذه العبارة إشارة إلى بعض مدح المؤلف في شعره

(٢) شعر لستى



فهو يسبح بمدوحه دماء العباد ، ويُملِكُه أنعم رحم . ويؤوه  
 مسطح السماء وسفكها ، ويتمنى له بعد ذلك الانفراد بالخلد  
 الذي كرهه أبو العلاء لنفسه حيث قال  
 ولو أني فُيحتُ الخلد وحدي

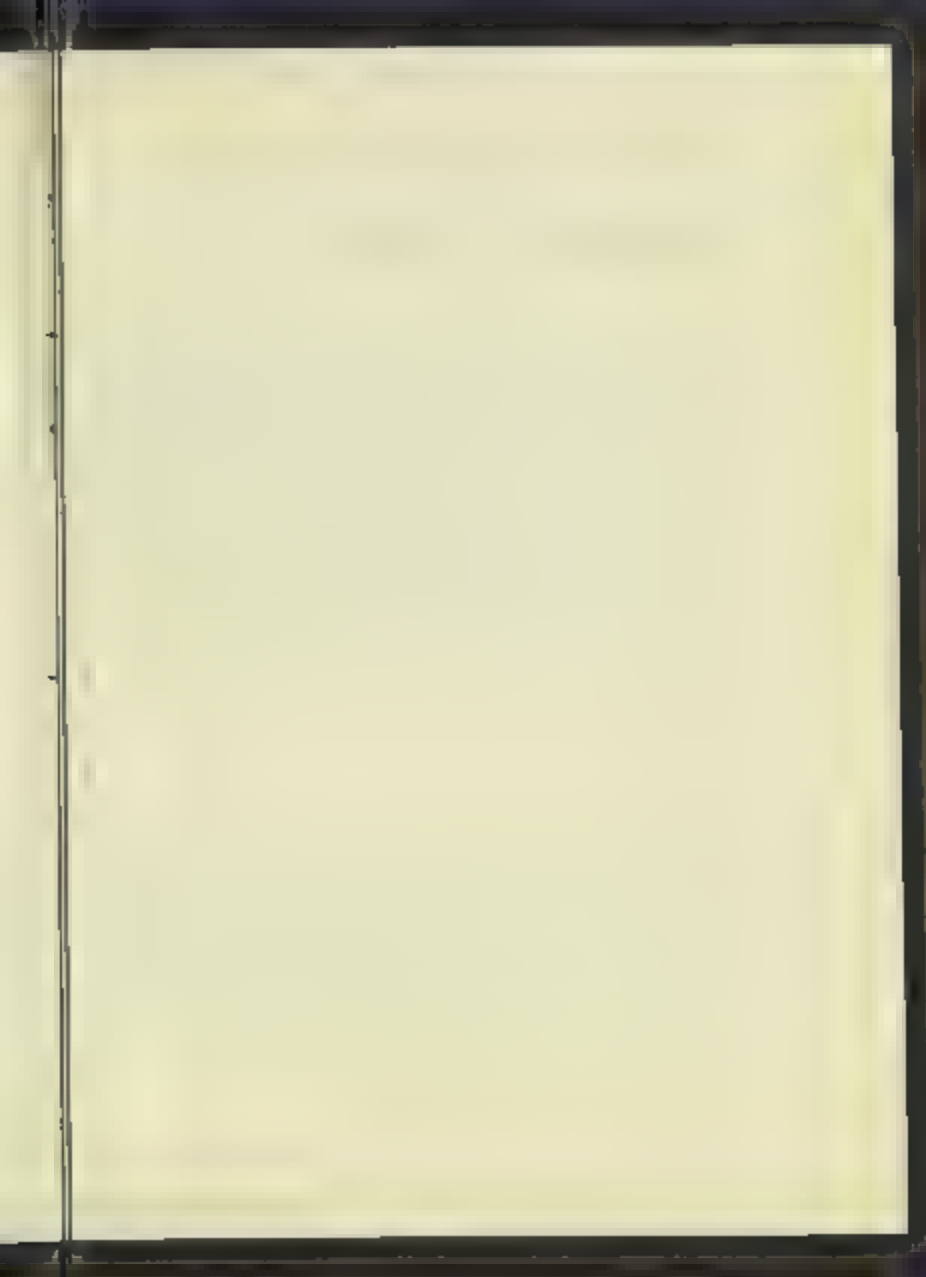
لما آثرت في الخلد انفرادا !

هلا محر أو الطيب الصاعدة إلى الروحانية التي هي حقيقة  
 الشعر وراحة الموروث والمراد من الخطوم ، والروحانية  
 لا تقوم على مثل هذه الحفوة والقسوة والمظلة . لكن تكون  
 بمثل ما قال في مثل هذا المقام

تَقْ أَيُّهَا الْمَوْلَى عَلَيْهِ هَبِ الرِّفْقَ بِالْجَدِي عَفْوَ !  
 تأمل يا بني هذين البيت ، وانظر كيف هدمت الصاعدة  
 الأولى ورفعت الروحانية الثانية وأفسح من بيت المتنبي في  
 استراحة دم الأمراد ، بينه في استراحة حجم الموك :



فأخذ السر من عبار في العضب ، وقال : أحذئك عن شعر  
العرب وشاعرهم ، ونحن قادمون على دولتهم في ابتدائها بمصر  
فتزعم أني حدثت عن العراض ، وخرجت من الموضوع ١  
وما الشمر والبيان إلا عنوان الأعمى ، يستدل بهما عليها .  
ثم تذهب السر وقال موعداً عداء مجلس عمرو ؛  
فأما هي إلا إعمالة ، ثم إذا أما يحلوا



## المحاضرة الحادية عشرة

قال الحمد : وكان موعدى مع الضمر أن يلتقي في مجلس  
عمرو : فلما كان الأصيل ، خرجت إلى المسطاط ، في زى  
رقسيس من الأقباط ، كما سبق بذلك الاشتراط : فحين  
بلغت مدينة ابن العاص ، التي فتحها للإسلام بالرأى قبل  
الفتح بالسيف ، وأقيمت مقر الإمارة : وهناك ما كان أسهل  
الوصول ، وأيسر الدخول : رفعت الخُجُبُ بين عامل  
عمرو وبين الضمر : واقتدى به وجوه العرب في سلوكهم ،  
والناس على دين ملوكهم : فاستقبلت مجلساً أليق بالوعاظ  
والعلماء ، منه بالملوك والأمراء : وقدمت على أمير تاجه  
العمامة ، ومطرفه القباء ، وصولجائه السيف ، وكرسيه

التراب ، وحاشيت الأصحاب ، وقصره خيمة ممدودة الأطناب  
يحيط به العرب وكأنه أحدهم ، وهو زعيمهم في مصر  
وسيدهم ، وكان الممر بين يديه . قد سقى إليه ، وهو بالغ  
للعامل في الخطاب ، وبلغ السؤال وبأحد الجواب ؛  
سمعت يقول له : هذه دنياكم يا ابن العاص لا تعترون بها ،  
ولا تحملون بحمها ؛ وإنما لديها العقلاء . وطلبة الحكماء ؛  
فكيف دينكم ؟

قال . أسهل وأيسر وأسمح : الشهادة وهي كلمة ، والصلاة  
وهي عصمة ، والزكاة وهي رحمة ، والحج وهو حكمة ؛  
وما سوى ذلك فزيادة في العبادة ، أو بدع تأتي بها الأيام ،

زَوَامِرُضْ لَا بَصْدَ بِهَا جَوْهرُ الْإِسْلَامِ .

قال : نعمت الدنيا لو لم تزل عن الخلفاء ، وتوكل إلى  
الملك والامراء : وحدا الدين لو سلم من عبث الفقهاء ،  
وعيث الجهلاء ا

قال : وما يمنعك أيها القيس أن تستقبل هذه الدنيا  
وتدخل في هذا الدين ؟

قال : إني أتبع دياً يقال فيه في جملة الدعاء . : إزبس  
لوم تتوحدى لما كانت الأشياء ، ولن تصل إلى حواشي  
إحجابك يد الأحياء ا . فالمصود إذن واحد ، وإن  
اختلفت الأسماء .



قال : أى الأديان هذا ؟

قال : دين المصريين القدماء .

قال : عجبا ! فى مصر بقية من القوم ؟

قال : ليس للظالم دين يا ابن العاص ، والرومان قوم  
ظالمون ، دخلوا هذه البلاد فأفسدوا فيها ، وهدموا مابنى  
أصحاب المسيح عليه السلام به هدم وتحزدم وتسميهم ،  
من بليان النصرانية متين ، وركن للسيحية مكين : وغادروا  
مصر لاتحلوا من عاكف فى خامة سريره على دين آباؤه  
وأجداده ! وأنا من هذا الفريق .

قال : الآن أنهاك عن عبادة الأصنام ، وأمرك بالدخول

في الإسلام : فيما أن تقبل ، ولما أن تقتل !

قال : القتل أحب إليّ يا ابن العاص ، ولكن لي كلمة

أقولها وأرجو أن تسمع لي ..

قال : هات .

قال : على التمسك بالدين قامت دولتنا القرون الطوال ،

ومن شدة التمسك به أدركها الروال : فذهبت من أجل

دهر ، ، وأمسك إحدى العبر . ولا أكره أما أيضاً أن

أذهب على الأثر ...

قال المدهد :

لم أدر بالاستاذ إلا وقد عاد سيرته الأولى ، فإذا هو

فسر يطير بين أعين القوم ، وعم من أمره في أعظم الدهش ؛  
فلحقت به : وما رانا نغد الألق حتى هبطنا ناحية من  
الغسائط ، فتمثلا كما كنا قسيسين من الأباط ، وهماك  
التفت إلى وقال : كيف وجدتني ومالك ؛ قلت : الآن  
لك وجه الأمر وحاش آخره . قال بالحق الآن ، وبالحق  
حاش : لأن مقاومة الوثنية فرض على نصراء العقل وحماة  
الحقيقة . وقد تكفل بها الإسلام لسائر الملل . قلت : قد  
كان لك غنى يا مولاي عن التكشف له ، وإطلاعه على  
حقيقة معتقدك قال : أردت أن أريك كيف يحفظ القوم  
ديهم في الكبيرة والصغيرة .

عجبا لكم معشر المصريين ، أتم أمة التاريخ وليس  
 لكم فيه كتاب . هلا تشبهتم بأبائكم الأولين ؟ فلقد كان  
 الواحد منا أحرص الناس على حديث بعده يؤدّه في حجر  
 يشبهه ؛ ودكر مع الرمي بحلده ، في أثر ينضده ؛ وكان  
 أحب الأعمال إلى ملوكنا وضع التاريخ وتدوين السير ،  
 لعلهم بأن التاريخ دليل الأمم ، ومرشد الشعوب ؛ وإن  
 قوما لا يعرفون ماضيهم ، لا يكون لهم بحاضرهم اعتناء ،  
 ولا في آتيهم رجاء ، أليس عاراً عظيماً على الشرقيين ،  
 وفيهم اليوم العالم الدكي ، والكاتب الأملى ، ألا يعلموا من  
 سيرة الأمير عبد الرحمن ، المتوفى بالأمس ، غير ماتنفله

صحف العربيين ومجلاتهم . . .

ولاني أسترعيك لفضية لانتفوت أهل النظر في أحوال  
البشر ، والباحثين في طبائع الاجتماع .  
قلت : وما تلك يا مولاي ؟

قال : يدعش الباطر المتأمل ، والباحث المدقق ، لما يرى  
من التفاوت البين في الأخلاق ، والتباين الظاهر في الطباع  
بينكم معاشر الأذليين هذا الوادي في شمال أفريقيا ، وبين  
أمة البوير سكان الجنوب ؛ وبحار فلا يدري بأي الآراء  
الثلاثة يأخذ ، وإلى أي المذاهب الثلاثة يرجع : أيذهب مع  
القائلين بفعل البيئة في الأمم ، وتأثير الإقليم في الشعوب ،

وسلطان المقام على المقيم ؛ فيحكم أن جاز الليث أسد ،  
وجاز العنبر وتد ؛ أم يجازى الداهين إلى أن اختلاف  
الطوائع ليس إلا نتيجة اختلاف الأجاس . أم يعتمد على  
رأى القائلين بأن العقل البشرى - وهو مركز القوى  
المدركة في الإنسان - والنفس - وهي مهبط المصائر  
أو الدائل به - ليسا إلا هِبتين يشتركان فيهما أوصاف  
العباد ، وإن تعرقوا في أطراف البلاد ، وإعما يصح  
العقل بالتعليم الصحيح ، وتقوم النفس بالتربية الحقة ؛  
على أننى إلى هذا الرأى الثالث أميل ، وعليه و اعتقادي  
المعقول ؛ فعليكم بالعلم ، خذوه نالماً دافعاً ، واحجروا منه

ما يبت إلى ما يحى ، واطلوه لدنيا تعملون لها كأنكم  
تعيشون أبدا ، أو لآخرة تعملون لها كأنكم تموتون غدا ؛  
وعليكم كذلك بالعربية ، فإنها باب مدينة العلم ، لا تدخل  
إلا معه ، حذوا صحتها ولا تأخذوا فاسدها ، واطلبوها  
لأنكم : فإن كثرت عنها فلاياتكم ، فإن لم تكمل لهم  
كملت لأناسهم من بعدهم : وكونوا الحفظة الذين نكرم  
عليهم بلادهم في الشدة أصدق ما تكرم عليهم في الرخاء  
يكونها بالدهوع آونة ، وفي القلوب آونة ، لا يعملون لها  
عن حرمة ، ولا يقصرون لها في الخدمة ، حبها لهم العشق ،  
لأنهم في ملامة ، ولا عيمة معه للسلامة .

أعمار الأفراد قصار ، والأمم طويلة الأعمار ؛ وآمال  
الواحد الفرد تموت بموته وآمال الجماعة لاتفوت ، وإنما  
هى لم مثل الورق للشجر : يُنزع حيناً ويكسأ حيناً ؛  
وما نى قوم بناءهم فى المجد ولا قامت سعادة أمة ، إلا على  
العلم والتربية ؛ وهما إنما يحصلان فى المدرسة ، وليس  
ما يمنعكم من إنشائها : فإذا أنشأها غيبكم غير مسرف ،  
ودخلها الكهل بالليل خير منكف ، ولزها الصبي بالنهار  
غير منكف ، وأخذتم العلم فيها كما يريد زمانكم الذى أنتم  
مخلوقون له أن يؤخذ ، فقد استقبلتم الحياة من وجهها  
الحق ، وأخذتم فى التقدم العصرى بالسبب الاوثق .

اللغة رأس مال الأمة فى العلم والعرفان ، والدين رأس



ما لها في التربية والأخلاق ؛ فاجعلوا المحل الأول في  
مدارسكم لمدين ، فالثمرات إنما تأتي بقدرهما . الإنسان إذا  
علم كان إنسان الدين ، وإذا جهل كان إنسان العافية ؛ والعلم إنما  
يتأسس بالتربية كان لحامله محنة ، وللناس فتنه ، فاجهدوا بينهما  
في الدار ، ثم في المدرسة ، ثم في الحياة ؛ تلك المدارس الثلاث  
الكبر : فأما الدار فالأستاذ فيها المرأة ، وأما المدرسة فالمعلم  
فيها الرجل ، وأما الحياة فالمربي فيها الزمن ، فابدءوا بالنساء  
فعلموهن في الصغر ، يعلمكم في الكبر ، وربيهن في العطفولة  
يربينكم في الكهولة ، ولا تفتشوا مدرسة واحدة للرجال ،  
إلا وقد أنشأتم مدرستين اثنتين للنساء .

إذا اشتغل الحليم بالسفيه شارف على السفاهة ، وإذا  
اشتغل العالم بالجهول شارف على الجهالة ؛ وأكثر ما ينتشر

السفها، والجهلا . ، وأشد ما يكون إفسادهم وإيذاءهم ، في  
الأمم ومضى في بداية مهنتها . مثلها عندئذ كالأنهار الكبيرة في  
أزمة الفيضان . تسوق الأقدار قسايا بتيارها ، ويختلط  
الحديث بالطيب . ثم لا تلبث أن تلمط العاصف وتستبق  
الصالح ، فيصلح الماء . وتنبص الخيرات على العباد والعباد ؛  
فلا يبطل ثنائكم كرامكم . ولا تنفوا للصغار عما يحدثون  
بالا ، واعملوا كل ما تعلم من علم أو صناعة . وأنفروا العمل  
فإن إنقائه يلقي عليه اليأس والعركة ، ويولد بين العاملين المنافسة  
والمسابقة والمزاحمة ، وعلى هذا تقوم حياة الأمم ، كما تقوم  
حياة الأفراد على دورة الدم . ليس بين ديب الحياة في الأمة  
وبين ظهورها كاملة الأدوات تامة الصفات ، إلا مثل ما يحق  
هواد الجنين لأول وهلة . ثم تمسك الحياة فيه بعضها بعضا  
ويبقى بعضها بعضا ؛ فلا تزال به حتى تخرجه إلى الوجود



لم احترت إلا أن يبعثك الله فمشى في القوم خطيبا هاديا ،  
وطيبا مداويا ، تشبع أقصى الداء ، وتصف عزيز الدواء .  
قال : ليكوس لي ، لك شئ به تم تحمسا القاهرة .

قلت : ومتى تدخلها يا مولاي ؟

قال : يوم يقتل عثمان . ويصير أمر العرب من الخلافة  
إلى الملك . هناك أنقص يدي من دولتهم ، وأصلد بك عن  
المسطاط وأرد القاهرة . عاصمه مصر المحاصرة .

ثم أحدث السر الإغمدة المعتادة ، فتشرب وقاب كلمته  
المألوفة : إذا جاء الليل دعيت الشياطين ، وهوعدا عدا  
دار معجور

وأصاني مثل ما أصده وهي إلا غصنة عين ثم انمافة ،  
حتى رأيت المسطاط أصلافا ، وحاذيت في المطار تلافيا ،  
صعبت دجال وتغولها ، والروح وسفلها ؛ وأخذت في نسي  
على السر هذا الرجم ع إلى الخلط في المواعيد ، وإزعاجي  
بدار معجور أشدها ولا أشدها

هنا بدار ..

## المحادثة الثانية عشرة

قال المهدي .

خرجت في أصحبل فعد إلى مسطام ، في الخلة التي  
فصاها الشيخ لي واختارها ، وأنا لا أعرف المعجوز ولا دارها ،  
ولا أدرى كيف أمث مرارها ، أو أحد من يحدثني أخبارها ،  
وأكر على الأستاذ هذه التعمية ، وأعدله على اختياره الممت  
على التسمية : فملت أمثي فاعلم في هذا البيت ، غربا في ثيابي ،  
رددحم شقاء العامة على يدي "القبيل" ، وينحى الخواص  
حيث أمير ، وأنا أغبط في صبي رؤساء الديارات بيده  
المكاة في العوس ، وأحدم على هذه المثلة في القلوب ،  
وأطر سلطان الرغمة كيف بدلو على سلطان الرهمة ، وأرى  
الملك الكبر لمالك السريره لا السريره ، وقد راقني وأدهشني

[illegible]

بظلم سائر الأمم . وهكذا نحب ، لا يُعنى عنهم ،  
ولا شئ لهم هذه الصفة العامة في نظر الجماعة ، حتى يجمعوا  
من أسرارنا والهمم ، ونفقد بأرمتهم الحيدة العممية في الأمم ،  
يرشدون ليس بأعلم من دوابهم من الأنا ، ويعرفونهم كيف  
نصب أسير دامن . وكيف حرموا أحياءنا ، وابتعدوا  
عنهم من من اتخذوا لنفس

لأنهم ليس بأولئك . نحن نأوردا في شئون العباد  
لهم ثم إننا نألوهم حتى نألوهم عابثي الاحتداد  
أعلم في أولاده كلها . والعمل لموصول فيما أورد  
في حبه . أنه من أول ما سبقت أن نمر لنحقيق هذا  
كانت مصر الأرض من عنهم

في أحكم أو في الوعظ أو في الخهاد  
في به أجمع يحميه . من لا يبدله : وصار يدعيه ، من

ليس بعبء ، وما للبسطين مختلفين فيه ، ورتق يري الدافع الرابع  
 منه ما كان مقصوراً على الشريعة ، محصوراً في فقها ،  
 مردوداً إلى المذاهب الأربعة فيها ، والتي انتفى من هذه الفئة  
 من عادي لغات العربيين ، وهي التي انتهى بها فيما عاشر  
 الشرفيين وبؤمر ، واحتقر عمومهم وقومهم ، وهي التي  
 فاضل بها فاضل ، ونفاوم بها فاضل ، وتقضا كل يوم  
 ملا قتال ، ومرتق يهجرون علوم الدين وآداب اللغة العربية  
 إلى لغات لم تحر بها ألقاظ آبائهم ، وآداب لم يغم عليها حياة  
 أحداهم ، ولم تؤلف بعد في بلادهم ، وإن أمة لا تجتمع على  
 لغة ، ولا ترجع إلى جامعة من الآداب القومية ، ولا رابطة  
 من الاخلاق المالية ، ليست على شيء من الحياة وإن جمعت  
 فيها معاني الفضائل .

أرى جوامع الشعوب أربعة أمرهم بدوهم ليس يحكمها



الدين في آدابه مُصَيِّفاً والجسد لاحتها ولا مُصَيِّفاً  
والعلم يهديك إلى ما نفعاً ولعبة يمهِّمها من سمها  
تكون في المال والعلم معا  
قال المدهد :

وما زلت في تنقل واستغراء ، وتحول واستجلاء ،  
ومنى على حق وعاء ، حتى أعيت لى أصلاً وسعياً ،  
فصحت : لا شئت بك المعجور ولو أنها الدنيا . وهناك  
مرت يد على كفى ، فاعنت مرأيتك بعذر العري ،  
وسمته بقول نعم هي الدنيا وأنت في لطلب ، وستراها  
وتسمع حديثها من كتب . فقصيت من مقالته العجيب ،  
وعلت إذا أغفر لك إخطائك ، ولا أستكرك استهزاءك ؛  
ومن لى أن أجمع معانة الأمام ، لى ما رويت إلا في  
الأوهام ، ولا تثلث إلا في الأحلام ؟



سهم ، وأداء عظمه ، وجمع كاقبوس حسنها وشفت كل  
شعره في يدها ، حتى شمرات في أديم ، وهي تنوء لسلاسل  
الحديد ، وبرزخ في أديم شديد ، فصاحت من مهرها  
وبدا أديم ، خطب ففتت أديم ، ففتت ففتت ، والعجور  
العمرة ، كعب حلك وأمر ، ففتت ففتت ففتت ، وهي  
عفت بعد أديم ، وأمر ، ففتت ففتت ففتت ، وهي  
أديم ففتت ، وفتت ففتت ففتت ، وهي ففتت  
ففتت ففتت ففتت

ففتت ففتت ففتت ففتت ففتت ففتت ففتت ففتت  
ففتت ففتت ففتت ففتت ففتت ففتت ففتت ففتت  
ففتت ففتت ففتت ففتت ففتت ففتت ففتت ففتت  
ففتت ففتت ففتت ففتت ففتت ففتت ففتت ففتت  
ففتت ففتت ففتت ففتت ففتت ففتت ففتت ففتت

ففتت ففتت ففتت ففتت ففتت ففتت ففتت ففتت

فانت. لا يعرفك أيها الحق أن الدل شعاري، وأن عاجزة  
عن مث إشاري : هو الذي سيطر على عباده ليلوهم أيهم  
أصدق عزماً، وأحمل صراً، وأقصد إليه سرّاً وجهراً، مادامك  
عمر إلا الطواهر، ولي التسلط على السرائر، والسيطرة على  
الضائعات. ونفس هذا الذي ترى في ملك ابن الخطاب من  
رهد في، ونحوه على، وإساءة إلى، إلا غاية وتنقضي،  
وحال من كره لا من رضى عمال في مداراه الخليفة،  
بوجسود منه حيفة : ورجال منسوب لكل دولة اوسها،  
يأخذون بيدها ويقرون بوسها رهاد في دوله الراهد،  
شباطين في زمان العاصد.

ويشاهج في الكاظم، دحل السر موقف بين المهابة  
للعجور والإكثار ثم حاطب فقال أينما الحاكمة في "بشر،  
من غير منهم ومن حصر، والآق منهم والمتطر، ما لقيت  
من عمر في صبات هذا الأمر ؟

قالت . أصبى الأمر . ، أعظم الأسر ؛ لكنها حال  
تحول . وبارلة عما عريب تزول ثم أدت في هذه الأمة  
تكا . وأصير هذا الأمر ملكا . نفل عليه القائن . وتلاع  
من أجله الطون . وتغاني في طلبة الشعوب . ولا أزال  
كذلك حتى أشقى مره أخرى في زمن ابن عبد العزيز . ثم  
يحلوا لي الجو إلى الأبد ، وأحكم في المسلمين على الأبد .

قال بحق عمر عليك إلا ما وصفت لي الأربعة الخفاء .

قالت . أما أبو بكر فأحدثني كما تؤخذ الإمام . وخرج من  
حروح الأدياء ، صرب على يدي أن أعد هذا الأمر حين  
المرصة ساحة . والصمفة راحة . والأمة ساحة إلى الفنة  
جائحة . وأما هذا الذي أعذب في أسره ، وألبوا المزمع معامته ،  
عاشدهم إعراصاً عني . أكنه هم مراراً مني ، لم ير ضى أمة تشري ،  
ولا قيل في طريقا إلى الأخرى . ولا يزال حتى يخرج مني

حروج الألبان. وأما برعد في قرب ربه بقراه. وأمه  
للغثة نهيداً في حلقته ولا يزال به أن رعه ثاباً وده  
حتى أروى عنه إلى عبي، رعد أس في، وأكثروا ساه  
إلى بفضحي في ساه، فتحي في حكمه، ولا يرضى في نفسه  
قسماً، ولا للعير عماً ساه في معده، وساه على راحة  
سأله، ولا يزال يجر همه في جمع أمر الأمة، ويحفظ  
أمره أمهات في بيت السوء، وأن أروع سفسوس مه،  
وأجيد، غيوب عنه حتى يخرج من وياش في يددهمى هه،  
كما خرج من قبل الألبان.

في الأمر فكيف كانت منه وية؟

وت:

بطل داهية خفاف في تله والغلاية زارال بهجرو  
إلى الدر ويهجر أس إلى، وهو في خاصة نفسه أحرم



ثم التفت السر إلى وقال . دونك أيها المدهد هذه  
 الصعبة الطافة ، وهذا التاريخ المتكلم ! هل ما شئت ،  
 واستصر عما شئت ، من هذة تسجيلها ، أو حكمة بأحذها ،  
 فاستقبلت المعجوز وأما أعج من حماوة الأستاذها ،  
 واستعرب منه هذه المناقشة في خطاها ، ثم قلت . صعدا  
 أينما الدنيا عن هوقى ، وانسى لى هوقى ، وحريى أى  
 الناس أحب إليك وأبهم أنص عليك ؟  
 قالت أحب الناس إلى أنصهم إلى الله ، وأنص  
 الناس إلى أحبهم إلى الله !

قلت ومن أنصهم إلى الله ومن أحبهم إليه ؟  
 قالت : أنصهم إلى الله العالم المفتون ، ودوا لصع الممون ،  
 ومؤتمن يحون : وأحبهم إليه العامل عن علم ، المتواضع فى  
 رفعة ، العاقى على مقدرة ، الداكر الموت المستعده ، فهذا



الذى رعى لعظيم الأعمال فى الدنيا، ولصالحها فى الآخرة .  
قلت : عظمى أيتها المعجور .

قالت : خلقت أصل ولا أدل ، وأمسد ولا أريش :  
وما مثلى إلا كالسار تهنى الناطر من بُعد إليها ، ونحرق  
المتهاات عليها .

قلت : أى الأمم لك أعلم ، وأى الحكام فى وضعك أحكم ؟  
قالت : الأمة التى حا . فى كتابها المنزل طساتها فى  
سجلة وصي . إنما أخياه الدنيا لعب ولهو ، والتي يقول  
فى شاعرها :

وما الساس إلا هالك وابن هالك  
وذو نسب فى المالكين عريق  
إذا امتحن الدنيا لييب تكشفت  
له عن عدو فى ثياب حديق

فست عرفى بعض صفات ، وصلى إلى شيت من ادلك .  
 قات أن باعة امة . الب اصلة الفسقة أنس لاشامة  
 ولا كامله ، وأدر لاسدرة ولا معطرة ، صغوى سلك كبرى ،  
 وكبرى عد صغوى . أرس الميث فشى . وأمنى اسوقه  
 فقرصى ، وآنى الامن المظنين من حيث لا يتقى ، وأصيب  
 اللامى اسعه فم . فوسه فى حاسة نفسه ، لاما يظهر لاس  
 من نسه ألسه الناس فى سى ، وفوبه بمودة من حى ،  
 بعلف بعصمه فى نه صا وما أصغر أحدهم لى كراهة ولا مصه  
 من رت عه استعد ومن اتبع مى اسراد ولا حى إلا  
 له فى مراد . العرف من أحوى أحداً ، أن نظفى ندأ ، ولم  
 يقف فى ضنى بين اتبع ، أحيد . من أحوى فامراد فمرير ،  
 واحيد . الكثر ، ومن سدى فاستعد المستمر والصوان  
 المستمر . لا يرعب مع الاحرة فى ثمين : ولا يؤثر عليها

أدله و... ومضى كان ذلك منه لا ينسى أن يقول :

كدا أنا ياديه إذا شئت ودهي

و... من يدي في كراهما قد...

فإن لم يجد

كتب أصوب النظر في معجزاته وأصده ، وأراها  
تلك من خلاص حال ، وتصير من حيث لم يدرج في نهاية  
احتمال ، ثم هفت من حلال والأعلال ، وتمشت في  
و... كالمثال ، و... الأ... دق يد على يد  
و... الأمر ، وقت عمر ، واستفسر العرب الدنيا  
واقصوا على ذلك ، وجاءتهم الفسة من كل مكان فاست :  
كذلك ثم ضد الآن ، ولا يزال حتى أحدهم على سبب بيت  
من حرجوا ، وفي ضده نوابد حواء وبه ظهر عجزه ، وعليه  
في ذلك ثم لا يزال حتى يحكيه من يري ما قرأه ،

ثم لا أزال حتى يظلمهم الحمل من المعجم على أمرهم ،  
ويسلوهم ما بأيديهم : ثم لا أزال حتى ينصروا في البلاد ،  
ثم لا أزال حتى يُمسوا كأن لم يكونوا شيئاً مذكوراً ، ويبقى  
قرآنهم ولسانهم خالدين على الأبد . مشورين إلى الأبد ..

قال المدهد

ثم انطلقت الدنيا من أسرها ، وتركنا نفسي الذهب من  
أمرها : فالتفت السر إلى وقال لا حرج في هذا الأمر  
بعد عمر ، ولا مقام لنا في ملك هذا الذي يموت عن عبيد  
وإماء ، وضياع وثرأ ، وأثاث وكساء ، بعد ما ظلم أبالزهرأ ،  
وآثر على الخليفة الخلفاء ، وأراق ماشاء من دماء ، ثم ألقى  
المعصرة والدنيا مدبرة ، وطلب المعصرة حال المعصرة .

قلت ومن تعنى يا مولاي ؟

قال : ابن العاص .

قلت ذلك الذي أتى بالأمس في الجهاد، وجلس للحكم  
بين الناس مجلس الزهاد ؟  
قال . كانت معه إلى الدنيا معولة إلى حين ، ثم فكت  
بموت أمير المؤمنين .

وتشاءت العسر عند ذلك ، فخشيت أن تكون هذه الومنة  
الكبرى ، وأن لا أراه مرة أخرى : فأكف عن الالتقي .  
فقال : صر بين الحزيرة والخمر . فصررت بالموعود ،  
وشررت ففى بأصال مسنده ، أقصبتها مع الدرر  
استقرأ . واستعادة

تجارتیہ ۱۹ : شہ متقسمہ

ول الجرح

في كتابه هذا، حرج من أنباء بني أمية في مصر،  
 من الحرية والحرير وأما في ربيعة ووعلى، والاحتجاج  
 بمين عيسى بن عبد الله بن أبي شامة، وبيدق  
 الملاحقة والنفاد، في حين من حقائق الرجل،  
 وما سعى من حقائق الأحوال لأن حرب حريش  
 على الصغرة والكيرة، يرى من كل مد يحله، ما لا يراه،  
 كما ساج لا يصر في عام وهو موضع الذي يعيش فيه، وذا  
 حرج منه كان أحد الخصال حاصد فكيف به مثل الأستاذ  
 واسع العلم والدراية، منه ذه النهد على صحة الزمان وأهله،  
 فملت الهر وكان الأصيب على منه ذه، وأرجع على منه

نعم ، وانظر على وجهك تحت ركبتي برحمتك إليه  
 موكدا موكدا ، تجري بهم امراة من كل دار وشكل  
 من ( اسكيب ) كذا اريد ( لا ) بها و ينظر من احرارها  
 تمرى كالسهم مرفقا ، تدفق كايح حذوق ، و مساب فوق  
 طرق المماس ، فتصوب كايح من ذاب الا حرام من  
 ( اوموس ) كى عيب ، دى هـ سوعز هـ ، صوتها ، ذكر  
 الاصوات ، وديها حمد المرحلات ، وراكها ، لاى اوجيا  
 ولا الاموات ، ومن ( اومواى ) من اركوا من شص  
 النهر الى الاهرام ، وهى تصبى لى حرم ثم تصبى عنه ، خلاف  
 الايام فيما ذهب الشاعر إليه

ما أسرع الأيام في طيها — تصبى عيب ثم تصبى  
 ومن مركبات تغاد ، حمة الحيات ، هـ ، لا سمع لها  
 حذ ولا جرسا ، كأنما يهيم في أدب الارض هـ :

وبعضها كالدار طيقات ، تنسأ مقاعدها في الجماعات ؛ وبعضها  
 قليل الحجم يجره فرد ويزك فيه فرد ؛ وسجله وجدت  
 صازه الخزيرة والجيرة ، حاولة تصوف المحدثات ، جامعة  
 لأنواع المحرمات ، كأنها تـ ، بولونيا ، الشهير في باريس ،  
 لولا أن القوم عليها كشك في مدن ونجل وأحاس وأرياء  
 وألوان ، وقد ذهبت أيام الخير ، وتصرمت دولة الحال ،  
 فدى الشبح في مركبته ذكر فعلته ، وكانت محلى ريشته ، في  
 دهانه وحخته ؛ ومحرر اسيد اعمار ، إلى ( الدوكار ) ، وبرز  
 الكبراء للناس في ( الأومويل ) ، وكانوا يسكنون وقارا  
 في ( سكوبس ) ، وأهت ( المسكيت ) الحصى ، عن جواده  
 اعروى ، وسرجه مصفى ، وكان ريشته بالعمدة والعنى ،  
 وركت اسيدات في مكشوف امركات ، تجري بين  
 أخين المحدثات . وكن في مثل هذه الأحوال لا يلبس حيث



ينيل الرجال ، عادات بدلت ، وأحوال تحوت ، وآية للعرب  
في الشرق علت ، وأصاب حصاره ومد ، لا شرفية  
ولا عربية ...

قال : هذا صرت على الحزينة ، فقصبت نظر أشد  
النسر عليها ، فرايت من مد يد وشاقد خلا نفسه في  
ناحية ، وهو يستقل السل ويدبم الطريق إليه فوجدت ربح  
النسر لأول وهلة ، وتقدمت إليه ففتت سعد اليك شاعره  
في الرمان الأول يا مولاي ، قال وسعدناه يا بني . إنه  
سموأل الأهار ، الوافي على الأدهار ، اجاري نهران والنهار ؛  
عبد قديما وأله ، وقدس وجه الدهر ووجه ، وآوى الحبيب في  
المهد صبيح ، جري التابوت فيه تومسي ، وبلغ المقطم لديه  
عيسى : ولا يعلم إلا بحريه كيف الحجر ، ثم حبره وأعند ،  
ثم كعلته الشمس والمطر ، وكم قرية عمر ، وأحرى دمر ،

وهيكلي نثر ، ورويه مر ، وكذا أفنى مر زمر ، بمن نهى وأمر ،  
وتكهن ويحمر ، وفتح وانتصر ، ألا وإياه الممثل العذب ،  
أقتل عليه القاهرون وروى " الله ، فإني إياه قبيل نعاراته .  
والإسكندر ، منوخته ، فتص ، وتصاراته ، فإني الخطاب  
نعرواه ، فبهم حمده ، واسبون بجريده ؛ هذا يأتي حفظه  
من اتابع ، لا ، فسه به مر ، لا يزاحمه عليه بمر ؛ على أن  
حظه من التسمية أوفر ، وفتح من نهاتها أكبر ، شمس ترمر  
وأفنى نصر ، وهاد أحضر ، حو لا يستمر ولا يحضر ،  
وسيم يحظر ، وفتح مدر ، وروى تأيسر السمن يحضر ،  
وسنن صعب على المدر ، ولجنة السعصى عليه على ما ٢٠ من  
فدوق لو وحده من يسه من المدق ، وفريق هذا وذاك هو  
المتنم على هذا الأسس ما زفوت ، فإنا فاض أحب وإداس  
أمد ، فإني يحضر من تر البحر ، فتتبع مقرر ففعله

من سهل وواد، وقرى وبلاد .

قال الهدهد :

دشمتى هذه الكلمة فى الليل . وودت لولم يختصر السر  
من هذا البحث الخليل ، وإن يك أنى بالكثير فى القليل ؛  
وكان قد التفت فرأى المراكب تموج ، على تلك المروح ؛  
فسألى لمن هذه مصر القديمة ونجر على نقراطيس .

قلت : وما نقراطيس يا مولاي ؟

قال . نجر كان له على البحر . قامت هوة . مكانه اليوم ،  
وكانت الأجاب ، لا يؤذن لهم أن يسكوا سواه ، ولا يساعون  
فى الخروج منه إلى غيره من نواحي القطر .

قلت . بل نجر فى عصمة اسلار يا مولاي . وهؤلاء  
مترموها من أهليين وأحاب .

قال . وما هذه المطايا التى لا جوع ولا ضم . وكيف تسمنها ؟

قلت . هذه محدثات العربيين . تجلب إلى مصر فيتهاافت  
الاعبياء على اقتنائها ولم يتفق علماء اللغة على تسميتها حتى  
الآن . ولعلهم لا يتفقون . فإن العوم احترعوا (الأنومويل)  
من كل حجم وشكل . واتخذوا منها دوارع في البر ، وبحس  
لأرضي عمن سمىها السيارة ، ولا عمن دعاها بالجواله .

قال السر : اللسان يأتى من حيث هو مصعة . مرآة الصحة :  
ومن حيث هو لغة . مرآة الأمة . ولا غرابة في أن تقدمكم  
اللغة وتحبونكم في ميسور الأمر وغيره : فهي إما تأخذ  
بنصيب من هذا سفس العالم . وتأثر بهذا العجز الشامل ،  
لأنها لا علم مثل الطل للشح . يتصالح بتساؤله ، ويطول  
بطوله : والعلم في التجارة وفي الصناعة وفي الزراعة ، مثل  
ما هو في الشروح والمفردات . وفيما يسمونه الصون الجميلة :  
فكلما ظهرت آثاره على هذه الأشياء في مجموعها . اتسعت

اللغة من مآده ، وأردادت من حبه ، وتهدت على الرمن ،  
وحسبت على ناموس الارتقاء . يقتادها بأرمتها ، ويجري بها  
في أعنتها . هذه يا بني هي الحياة الحقيقية للعات ، وما سواها  
فتوهم ، ووجود أشبه بوجود الأجسام المخطئة . نظر بها  
حفظ وهي وإن طال المدى متباعد .

قلت : إراك لتسنى يا مولاي !

قل ومن أدنى ؟

قلت اللغة العربية ؛ فقد جيل في التعليم بينها وبين العلم  
الذي ترعم أنه للعات كالروح للحجم .

قال ومدا يحول بينهما ؟

فت الحكومة في مدارسها . والكتاب في مشائهم .  
والعباء في مؤلفاتهم . والخراند فيما تنشر كل يوم ؛ فأما  
الحكومة فقد استفر عند الفاضل على أرمة التعليم من

رحالها في السنين الأخيرة ، بل اللغة العربية لحقت بالضعف  
العربية ، وأنهم في واد وعيوب هذا العصر في واد ولا يزالون  
على هذا الرأي وفي هذا السعي ، حتى يثبت ما بين اللغة العربية  
وبين العلم ولا يكون بعيد حتى نعدم من يعلم قواعد الحساب  
فيها أو بعضها ، الناس بها ، وأما الكتب فقد من جمع منهم بين  
العلم واللسان ، وهم المشهورين منهم بالإجادة في الوصف  
والتصوير ، انتهاء اللفظ والاحتياط على المعنى ، واتساع اشعراء  
في المهام ، ومراحتهم على الخيال ، حتى صاع محل الكتابة  
العلمية من مشاتل الكتب ، وحلأ أكثرها من حقيقة التاريخ  
وروح الفلسفة ، ومنذ فسد العلوم الطبيعية ، وفجر الطب  
وانعكس وغير ذلك مما له في اللغة العربية آساس طال عليها  
الامد وغيرها التآكل والإهمال <sup>(١)</sup> ، وأما العلماء في مصر فأبعد  
(١) قلت : كان ذلك حال الكتابة في أول هذا القرن ، أما  
اليوم فالأمر غير ما يصف المؤلف .

الناس عن معرفة في اللغة ، أو تمكّن من أدب ، يتعلّق دماغ  
أحدهم من العلم ، ويتعرب في سبيله ، ويحقّ لأيام في تحصيله .  
وإذا ألف بعد ذلك لم يؤلف فيما يعرض على أساء العربية  
بين صحة التقرير وسلامة التحرير ، ولا أستحي بامولاي أن  
أحتصّ بالذكر في هذا المقام أولئك الآلاف من حرج أو  
يخرج من الأهر ، وهم علماء الدين المتفهمون فيه ، أخوج  
ما كان الخواص والعوام إلى كتب مهم محدّين ، ييسرون  
لأمة مواضع الحكمة في أحكام الدين ، يعرفوها في أدهان  
الخاصة ، وفربوها من عقول العامة ، ومع ذلك لم يقم من  
بينهم حتى الآن إلا ثلاثة أو أربعة يبرجون مثل هذا الدع ، ومن  
اسمية أهم هذا الفضل محدودون ، ومن أجله بمقوثون .  
رُبّ مدرس بامولاي تعلّب على أعمدة الأهر ، وأقنّى  
الطلة طبقة بعد طبقة ، وإذا أراد أن يكتب إلى ولده في

بعض الشؤن خاه أقلم ، وكب ما لا يعهم . وكان في رسالته أسكر حطا وأكثر حطا من شاب أرسل إلى عرب في أول الصاء ، كلما دعاه داع ليكتب إلى أبيه بلدرية . وأما الجراتد يامولاي فشعولة في العلب بعاصف الياة عن كل شعل ، مصرفة عن وجوه الخدمة الحقيقية ، لايهمها إحياء اللغة ، ولا يعيها نشر العلم باللغة ؛ وشتان ما بينهما في ذلك وبين الصحف العربية ، التي هي من التفكير وكثرة الانتشار بحيث تلحظ أحوال الزمن كل يوم ، وتطر في سياسة العلم بأسره ، ومع ذلك فالأهم عدها ، المقدم من واجبات الصحافة ، إنما هو ترقية الآداب ، ونشر العلم بين الخدمة ، والبحث فيما يحد منه ويكتشف فيه بخنامدقار بما كانت فيه من قرانها غزل الأساتذة من تلاميذهم .

قال : الآن عمت أن العاس في الأساس . ثم التفت



والثقت ، فبداله وراء النهر مصر عليه بها ، وروى ، وإن لم يكن «السدير ولا الخورق» ، فأوماً إليه وسألى : من الدار ؟ قلت : لريم الاحتلال ، والرقب على جماعة الرجال بعده الإسكيز في حملة عظمهم ، ويحتلون إلا به ، ويرمقون بها لهم في الاستعمار بيه : تحير هذه القصة ثم بنى موقها تلك الدار ، فنى السكثرون على الآذر ، حتى جاورها من لى لها بحار ، وكثر عليها في الزبارة من كان يجادل فيها الروار ، وأصحت هذه الداحية وفيها اعتبار : هها الملاح المصرى وهنا المستشار !

فلم يكن من السر إلا أن نيسم ثم قل : لا احتلال ... !  
 مددشت من هذا الجواب وقلت : أمدح يا مولاى أم  
 أنت لم تفهم مقالى ؟

قال : بل أنت الذى لم تفهم ، فلا تجادلنى حتى تعلم .

وفي هذه الأثناء، مرت مركبة صغيرة، يجرها جواد  
واحد، يمسك عاله شاب من الإيكير، لا آية على ركابه،  
ولا زحرف على ثيابه، به حشمة ووقار، وعليه للتواضع  
آثار، من على إحدى عيبيه رجاجة فأرقت تحتها، وزك  
الأخرى تمثل نقول المتعب.

« هو حد حتى تمصص المني أحتها »

لجملت أنظر إليه، فبالى السر، من هذا المني  
شملت رؤيته ؟

قلت هذا منشور المانية يا مولاي، له المحل الثاني  
في الاحتلال، وهو على حرائن مصريه المال، وشرف  
على الجليل والحفير من الأعمال.

فتبسم السر ثم قال لا احتلال...

فقصيت العجب من هذا الإصرار على الإنكار،

وقلت : أريد بمولاي شـ آية من سبيك

قال : لا ، أريد أن يسرع معي

وهذه أهرمت مما مر كفة في صياطك ، كما في سارسان ،

عليهما حلجان جمراران ، ودم سبـ ان يرحمهم عو سماء

أعاطها وعزة : وسأني العسر من الخد

قلت : وما أضعفت يادك في سؤالي إذ كان خواب

لا يغمض ؟

قال : ألهما من جيشك

قلت : وهو جيش الأعداء ، له في كل ناحية من

أماهرة معسكر ، وكل واحد من حدوده علم ارتكبه الذي

لا يمس ، وسيفها الذي لا يفسد ، وقد يراع لهم في الرعاية

والخبطه ، فخلوا فوق الغواص كانوا في السداد ، واشتد من

أجلهم محكمة مخصوصة يحاكم المندوب عليها أمامها . . .

فقسم السر كعدته ، ثم قال : لا احتلال ... !

فكنمت غيظي ، وعلت لعمري على عصيها ، وقلت :

لا سبيل يا مولاي إلى الجحود ، بعد ما رأيت الجود .

قال : مثل البلاد تراها أنت بعين ، وأظرفها أنا بعين ،

كالمرضى بين العائد والطبيب ينظر الأول إلى جسمه

الناحل ، وقوته الواهنة ، وعينه العائرة ، وشفته الدالة ،

وعرفه المنصب ، ويسمع إفراجه متصعدة ، وأناثة المتساعة ،

فيرق له ويرثي ويتوجع ، ثم يخرج من عنده وليس المريض

في اعتقاده إلا ما رأى بعينه وسمع بأذنه ، فإذا سأله سائل :

ماذا تصابحك ؟ قال : بحمه بحول ، وشفته ذبول ...

ووصف سائر ما تشاهد من الأغراض ، ويكون الطبيب في

هذه الأثناء قد نظر لسان المريض ، ثم جس نصه ، ثم قد

يقرع ويسمع ، ثم انصرف يقول في نفسه : داؤه كذا ،

ودواؤه كذا : وقد كذبى أمة بعد يوم وثنى يوم ،  
 وكانت لنا دولة تملو حيا ونفس حيا ، حكم الأجاس وبها  
 مرارا ، فلا أذكر أمة حكومت يوما وعن أمة كملت وبها  
 أدوات الخيانة ، أو سلموا دولنا وهي في فزعة وإمكان ،  
 قائمة على حقيقة است والسفطان من الأمم إذا باضية ،  
 لا يرحى فيها الشهاء حتى تعالج في مواضعها ، وما قام هذا العالم  
 مد قام إلا على هذه القاعدة وكل صعب الركن مصطلح ،  
 وهي تسرى على الحاد والسات ، كما تسرى على الإنسان  
 والحيوان ، فالحس يحد إليه امر ولا يحد هذا إليه  
 الحس ، والسرقة ترهق الخشائن ولا ترهقها هذه ، والذهب  
 يفرس أهل ولن يكون له فريسة وكذلك الس ، جهل قوم  
 لعقلائهم تبع ، وضعف قوم لأموئائهم حدم ، سنة الدهر في  
 فيه ، وشيمة فديمة فيه ، هلاولى بالبين يتصدون مع الأمم

المسترفة. ونحو ير "شعوب المنيكة" أن يعموها أن قبود  
الحديد لا تتعاضد إلا بمارد الحديد. والعقل لا يقاوم إلا العقل،  
والقوة لا تستدفع إلا بالقوة. والانس منذ وحدوا رأس  
ودب، واليهما مدكأت لمن عتب.

قلت. ألسن يا مولائي وأرشدت، ولكن هذا كله  
لاسي وجه احتلال حتى في البلاد، حيث آثاره  
فكرتها، ولم يذكر استب: لإمكار.

و- الهدد.

حسن الأستاذ شهاب ودحن في السنة الممهودة، ثم  
قال كنهه المأثورة بإراحم أمين دعت شياطين. وسألي  
بعد ذلك أين اندى عرك. قلت على الأركنية بامو لاي.  
قال لا- لك وكى وكى. فليس يجمع الليل الهدد والسر.  
ثم احتجب عبا، وذهب شيطانه، فالتثيت فيمن اثنتي من

الحريرة . واما تذكر مكي ، واثنتي ث يكون في الملاد  
احتلال ثث ، من روس أو أنما ، أو صين أو يمان ، وهي  
حمد الله مد كانت لا تصق دارل ، ولا تبكي على راحل .  
وسكن قلت في مكي . يس بعد حو . الإشاره . لا حلي  
المره . وما نزل السر إلا وفي مكي أمر . فقد عودن  
مدا فقدت بن شيطانيا الآفة . أن يجد فأحسه يهزل ،  
ويهرل فأحاله بعد . و . بوضوح آوة ويشكته آوة ،  
واعتصب ارة ويسر ميل تارة ، ويعلم حيب وينجاهن حيا:  
وأما إنما أنادب بأديه ، وأذهب المحادثة في مدهه ، وأصبر  
على مراقبته وموافقته ، لأنه عالم بصحب على علاله ، وحكيم  
يحب في جمع حاله . وإذا نقلت إلى اناس أحاديثه فأنما  
أنفها كما هي . لا يحدوا السر ويدروا المخشيت . ويدخلوا

طلبات المعدن على الذهب ، على أن آتاه من بينهم هذه  
المحادثات من انقراء إلى أيام السرى مصر ، لأنها إنما  
تناول الحالة الحاضرة ، ولا مستقبل لقمه لا يهملهم حصرهم.



## المحادثة الرابعة عشرة

قال المدهد :

لما كان بعد مصدت الأركية للافة السر ، ويدا هي  
كما عهدت بهجة هذا البلد . لها محل الأول فيه ، ولا تناظر  
ساحية من بواحيه . انتمت أرحاؤها بالمطر لصاحي .  
وانتضدت عليها الدور العالية ، تحتها بيوت التجارة من  
إطراف الأول . تتحلقها الأندية العمومية ، وروح الخلق الكثير  
وكانت قد أحدثت كمادتها للبر أهت . ورزت لأهل ودها  
مرعوفة بعين الرضى ، كريمة الشاء في الخواطر : بعد أن  
كانت دار الماخن والخلع ، وقرارة المدمن الصرع ، ومسلك  
التهيم في اعتقاد الخمع ، وكانت مرايح العجر ومعداه ، ومصيح  
المقامر وممساه ، وسامر المسكت ومن راعاه ؛ وبعد أن كان

الخروج إليها خروج من أحشمة وديار ، حي مات أس  
 من أهل الكحل ما عرفوه ، وعنه عنه نية لم يظهروا .  
 أمك محب دين الورير . ومنسفر نومويل الأهير .  
 مجلس المصطفى والدير ، وفارس الكتائب وأشعراء ،  
 ومبتدى العبد والعقهاء ، وأصبحت مقعد لسقاعين ،  
 ومستودع المستودعين ، ومدرسة تباشير ، وديار الجورين ،  
 وديوان المواطنين . تجمع الكبير والصغير . وتعلم الربيع  
 والوصع ، وتعلم محال ( المدرة ) . وتقف مقام ( السلامك ) ،  
 وتعنى عن ( الديوان ) ، وتنهض الأندية العمومية فيها ، الخدم  
 من كل الطبقات ، وكافة الأجناس . فترى عليها كبار الموظفين ،  
 عند ( الدوات ) المتعاضدين ، يلهم آلاف الخرائد ينهونها  
 كالآلئيم . ويقرأونها عارية بالليل . ولا أجروا نشأة  
 الآكول انجيل من عشاق الشطرنج . وأصبحت التارجيلة

تفصيله على الزم من كما يموتها نفس في نفس . ونموتها . على  
أركان العينة و لا غراض من أهل المراع ، الطائفة ، وحرارة  
المدولت من كل دي قب . أو عامل يده الرب ، ونورى  
على عصمة انحردين و نمكاته في الخرائد اليومية ، أدرك  
أصحابها انش ، وأدركت أصحابا حرفة الأدب ، وتغزوها  
كذلك على أعضاء احمية العمومية و مجلس الشورى ، آتى  
من أقاصى البلاد لرياره المستشارين و بعدد الأقاليم وأعيانها  
كثروا على الأريكة في هذه السنين الأخيرة و زيادة واندما ،  
وحبته ودهانا ، وكما إذا طفر أهل الكتب فيها بواحد  
مهم أحلوه بين السمع والصر ، وأجلوه كأنه لهندي لسطر  
والحلة تتعاقب على هذه الساحة ما بين حاشيتي النهار وطرفي  
الليل عدا هؤلاء حلوه كثير من حساة الراح ، وعناد الميسر ،  
والأغرار من أهل الأروة البوروتة ، والاصنع هم الحاش

من أهل عشرتهم . وبما يبكي منه ويضعك ، ولا يرى له  
مثيل في مدينة من مدائن الأرض ، أن هذا العالم المصعب  
في الأركنية بالليل والنهار ، السافل فيها قليل المساء وكثره  
كل يوم ، إنما يُبقى أساس الثروة ، ويرفع عماد السيوت لهذه  
الأمّة الصعيرة الكريمة المجهدة المقتعدة ، أمّة اليونان في  
مصر ، لا في تجارة تحتاج إلى عظيم مهارة ، ولا في صناعة  
تسترم كبير براعة ، لكن في تجارة للهو والطرب ...

قال : وكان السر قد سقى إليها ، فاعترضني في هيئة  
وزيٍّ هو فيها أشبه بسائح أمريكي ، أو إسكندراني : قائم  
طويلة ، لكنها ضئيلة ، وعارصا كئيبان ، لكن لا يلتقيان ،  
وثياب لا يشكى منها طول ولا قصر ، ولا صيق ولا سعة ،  
وهو يتشمخ بأفعه ، ويختال في مشيته ، فصعكت حال رؤيته ،  
وقلت بعد تحيته : قد كان لك غنى عن هذا الزى يا مولاي .

قال : ولماذا ؟

قلت لأن في طماعي البصر من صحة أمه ، لأعس حقارة  
ولا كراهية ، ومكن أرضي معنى أن أحترم ، وإن أصعب  
من لا يعدني من البشر .

قال ومتى أحترم القوى الضعيف ، إليك باءي تحول  
من النفس غير شبيمتها ، وتكلمها صد طبعها ؛ وأما ما أحدث  
هذا لشعار إلا لعلني أن فيه السلامة ، ومعها الكرامة ، في  
بلد ليس لي بدار إقامة . ثم التفت حوله وسألي : بأي  
مكان نحن ؟

قلت . على الأركية بـ مولاي . وهي قسم من القاهرة  
ليس كسائر الأقسام . كان وجه القرن الماضي نحرًا نحو إلى  
الحوادث . وبحري سوانقها : أقام به مالبون ومن معه ،  
ولا يزال منزله عليه قاتم الجدار ، معدودا في جملة الآثار :

وبه أنيس محمد علي ثياب اولاية ، واتخذ عليه بعد ذلك  
 مكس يتردد إليه في تراوجه بين شبرا إيوانه ، وقلعة  
 ديوانه ، ومران الأجانب يكثرون على الأركية في اسكني ،  
 وهي تأخذ من سعده ، وتشاطروهم ديباهم المفضلة ، حتى  
 أكرمها فيهم الخديو إسماعيل في زمن اهتمامه بهذه العاصمة  
 ، وعسسته بأمر إصلاحها وتعديها ، فصح فيها ، شوارع ،  
 ونشأ فيها المباني ، وانثرها بالآثار الحديثة ، دار التمثيل  
 الكهري في البلاد ، ثم مرت حتى أصبحت كما تراها تصارع  
 كثير من مشهورات الواح في العرب ، حركة وحرة ،  
 ورفقا ونصاره ، وعماره ويسارة .

قال : وما هذا السوق القاتم ، والدولاب الدائر ؟  
 ولم هذه التجارة الواسعة ، وبك الدور الرفيعة ؟  
 ومن هؤلاء الشاحون ، لا يعرف فوق سلم العمل ، كأنهم

المراعاة في سوا الإمارة وعدد عرف أمثله

قلب أرت لك يا مولاي أن هذه الناحية من القاهرة  
تكون لأحباب أرضها وسمعتها ، بهذا السوق القائم  
سوقهم ، وهذا الدور لا يما يدور بهم ، وهذه التجارة  
الراخلة لهم ، وتلك الدور الرفيعة مساكنهم وعقارهم ، هؤلاء  
المبايعون احتالوا في البيع من الأوربيين ، يأتون مصر رحلة  
الشيء في كل عام ، فيقصون به ما شاءوا من أرباح ، مثل سيرة  
في مشتاتهم من نالكمهم ولادهم ، بين إجلال الخاصة ، ومهابة  
الدامة ، استأجر الأحاب موائد التجارة ، واحتصوا أرباحها ،  
وقصروا على أرضها ، حتى أصبحت هذه الخواصت احكمرة  
وتلك المحارن المشحونة ولا تصرف عنها لمصرى يحيا حياة  
سهلة ، من أقصى الريف إلى أقصى الصعيد ، فما من بيت في  
الأرياف أهل على شيء من الفرو إلا ومن الأبنية ريتهم

ودقيقهم ، وكأسهم ورحيقهم ، وخستهم وإبريقهم : وإذا  
 بنى أحدهم بالغ فى النيان ، ومثل فى القرية الحقيبة الإيوان ،  
 لكن يقال أنى بما لم يستطع فلان . ثم لا تسئل عن الأثاث  
 والريش ، وما يتجلب منه من القاهرة لائفا لشاعة القصور ،  
 صافيا على وسيع الدور ، صالحا لجلس المدير والمأمور :  
 حتى ليجد الإنسان فى كثير من مدائن الأقاليم وقراها ، من  
 هذه المساكن من الطراز الأول ، ما لا يجد له مثيلا فى صياح  
 أصحاب الملايين من المهندسين ، بلزعم مما عهدت تقوم  
 عليه فى تلك البلاد ، خصوصا كبار الرراع منهم ، من الميل  
 إلى المعيشة السهلة فى المكان لطيف . ولصكهم لا يسهرون فى  
 الساء إذا سوا ، ويختصرون من لائث والرياش إذا اقتسوا ،  
 ويعتمدون فى تشييد الدور وتزيينها على سلامة السوق وحسن  
 الاختيار ، بحيث ترى الحقنى الصغير فتحده عيناك على قلة



صحته ، كأنه بيت من الشعر أو بيت من الشعر ، وليس ذلك  
إلا من حب الاقتصاد الذي لا نعوم حياة اليراع إلا عليه ؛  
وقد تدرج الأحابث يامولاي من الاستئثار تجارة القنطر ،  
ما جل منها وما قس ، والامفراد بالصناعة فيه ، ما علا منها  
وما سفل ، إلى مراحة الوظيفين على تجارات وحرف لم يكن  
يحظر على مال أها تخرج من أيديهم يوما ؛ ولا أستحي أن  
أصرب لك مثلا هؤلاء الأصمائل من اليونان والآرام ،  
مفتشرين في الشوارع والآندية العمومية ، يساقون بفراء  
اعلمان من المصريين والبرابرة إلى "معال يمسحونها ، والآندية  
يسطعونها . ثم أرتقي عن هذا المثل الذي إلى آخر أعلى ،  
فأندى لك أنه لا يقام في مصر عظيم احتفال ، ولا تنجيا فيها  
بالأفراح ليال ، إلا رأيت الحمل الأول للأجانب ، ووجدت  
الريح من وراء ذلك لهم ، فالآندية من "جيس" ، والطعام من

«فلو ان»، والشرباب من «وورك»، والخبوي من «ماتيو»،  
والفلبان من «الكوتيتال»، والور من معامل الكهرياء،  
والصدر في المهرجان لمن حصر من القوم ولم يعر دعوة،  
ولقدم الساقفة إلى اماندة قدمهم، والعباء مابوبة ومطارحة،  
تحت لهم ونحت لما، ومعينة مهم ومعن مما، يزحفون صسعة  
لطامى، ويبيرون تحاره امراش، ويرحسون أسعار المعنى،  
وقد عاشت هذه الخريف الأهلبة ربما طويلا في مأمن من  
ماسة المناسين، ومراحة المراحين، إلى أن فتاتها تراه مصر  
في هذه الأيام، وأصبحنا نحس أن يسكنف لنا القوم بالأمم  
والأبراح، كما دخلوا على البيوت في الأعراس والأفراح،  
والقوم يامولاي فروع هذه البقعة وغيرها من نواحي القطر،  
في شعب من رحي كليب عز، وسعة، تسهر انما كم المحلطة  
على حفظ حقوقهم، ويلاحظ عدول الامتيازات كرامتهم،

و شفق الله من نبيه في المهمات فكأنهم وراء هذه المعامل  
والحصون أسود الغاب في العار ، لم يكفها تلك القوة وذلك  
الإقدام ، فاستعصمت بالأحلام وهو في هذا ودان تزام قد  
انقضى عليهم للحواص عجة ، ومنى لغوام منهم مهابة ، وصح  
في الأذهان أن العقل لا يجوزهم ، والله كما لا يحل دونهم .  
والهمة لا شدايم . واستقر عند الدين يرجو للهوض هذه  
الأمة من عثرتها ، ونصب منهم أن يهجو أديها من كل روح  
جديد ، من أهل الحال والعقد ومن الأحلام والآلام .  
أن وأن الممن قد فات فلا يستدرك ، وريهة الأمن قد  
وت فلا تعود ، وأنه لم يبق لمصرين إلا أن يودعوا أيام  
أجبه وداعا . ومن خيب أمر هذا الفريق لعالي في الأمة  
يهولاني . أسهم متحزون متفرقون ، يعقدون ذلك في  
أفهامهم ، عولوه دناهم ، ثم يستبدون لآفة الأفكار

متعاصين متحاسدين متعادلين ، كل له أهل يسعى ليدركه ،  
 من وراء سكر والحاجة ، وغفلة العامة ، في هذا البلد الأسيف .  
 أولئك هم القواد فيما زعموا ، لكن لا تراهم إلا في طر  
 انصوير الشاهقة ، ولدى الأبواب العالية ؛ ولا يلقى بهم  
 إلا في محاسن اللغو والعرور والفاق والرياء ، لا يجولون  
 في الصفوف جولة ، ولا يعيرون الخبوء نظره ؛ وإذا مرّ  
 أحدهم على جيشه الموهوم ، وفيلقه المزعوم ، كان في خيالاته  
 وكبرياته كالملاك الصغير المنوح ، ورث لقب القائد العام فيما  
 ورث من القاب الملكية ، فتكف طئفة على جيوش  
 لا تعرف له فصلا ، ولا يدكر له بلاء ، وإن هتمت سجنه  
 واصططت بين المهابة فيه والإعظام ...

قال المحدث :

كنت أنكلم وانمر مطرق يصعقنا أقول : ها انتهيت

رفع رأسه ثم قال : هذا يابني هو الاحتلال ...  
 مهمت عندئذ معنى إشارته ، في سالف عارته ، وقلت :  
 لكم معشر المصور كيد لا يور . ونظر بعيد في الأمور .  
 قال : دع علك يابني ما تسميه الخ كم الحملطة ، وما تدعوه  
 الامتيراب . ودع القناصل وما تزعهم لهم من حول وطول ،  
 واحتب ذلك على أولئك انقوا دمن أهل العث وطلقة المطهر  
 الكسب والشهرة السائلة : وهب أن املك إدوارد وقيصر  
 والموت الآخرين ملكوا عبيكم لبحر بالأساطيل ، ثم ملكوا  
 عبيكم البر ماجبوش راحفة ، أكانوا قادرين على إدلالكم إن كان  
 لكم من أمسك عزمه . أو تمزيق كلتكم إن كان لها منكم جامع ،  
 أو تصبغ حقكم إن كان له منكم صائب ، أم كانوا صابرين  
 على يديكم أن لا تتداولوا أنبياءكم فيما بينكم ، تشطون انصاع  
 منكم بالإفك ، وتشجعون تناحر يانهاقت على بصاعه .

إن عسى على أهل انصاعات مدكم نعمدا فتجعلوا بقتضهم حتى  
يزول فتجعلوا ، كالحلم ، بكم لاتزالون عراة حتى يلبسوا بما  
بحكم وحطته ، ولا تزالون حده حتى تعمل أيديكم أرجلكم ،  
ولا تزالون مشاء حتى تتركوا فيما صنعتهم ، ولا يزالون  
توسدون اندي حتى تسكوا مبيتهم ، ويس هذا الذي  
يأبى ، من ثبات يرهو بها الجماعة ، ومواكب يحالون بها ،  
وفصول يسمعون فيها ، وما هي من صدعها في شيء ،  
إلا مقايح تری على الأمانة في مجموعها وإن توفها ، نص  
الأفراد بحاس ، يد حرفة ، نقل عبا أمة عارية ، كل  
أشیاء عارية ۱

واعلم يا بني أن الاحتمال الذي تستعظم أمره وتقول  
وجوده حقيقة وأقول وجوده توهم ، لا يصيق درعاً من  
ذكرت من قادة الأملاك ، ولا يتأثر تسجبان لوؤد إلى

الجنة خطب ، ولا بعد احدكم من بعد موتك فكتب .  
 ولا يتبع بعمار ص قواله ، ولا شئ مما كس فقال ، عشر  
 معشار ما قيمه ويقعده وصايفه ، يخرج منه ، أحدكم ، صناعة  
 والتجارة أحد الأمم الدهشة الفية . ذلك الإكلير وغيرهم  
 من أمم احتشدة وحصره ، يدهون من التملك والاستثمار  
 في غير البدهب القديم ، فلا بد من الملاد فاعين يقصون  
 هوس أهلها ويسلون من دوى الأملاك أملاكهم ، لكن  
 كما يدخل البحار الأسوار ، منهم الاستكثار من الثروة ،  
 والاتساع في التجارة ، والتمدد على سائر الأمم في هذا  
 السبيل بحق الحكم وفصل الاستثمار فكل بلاد يحكمها  
 الأحسنى في هذا من إعمال يحكم في الحقيقة بدراع مرتفعة  
 من الصناعة ، ويدفعه من الحرية ، بحث يصح أن يقال  
 عن عصره هذا لو كان رجلاً لكان تاجراً .

فب أفدت يا مومنان ورب . ربى ربى ربى وأشيائه ،  
لكر من أين لك هذه الطرائف وأنت عريب فى هذا الزمان ،  
أنجب من أهل . سكر . فى هذه الثياب ،

قال المبروه هو سكر . ما عرفت شعوب يتأوون فى سكرت  
عنه بعد طرفة . . . . . سكرت منه من احتضاره ، وقد كما  
يبنى نمشي فى له . . . . . سكرت منه ، خطر بين أركم المقهور ،  
فلا . . . . . لا سكرت مشد . . . . . لا سكرت من مظهر  
الدولة الحكمة . . . . . سكرت منه سكرته ، غير الحبود  
المتنوعة ، يحسن . . . . . سكرت منه فى كل مكان ، وبصره  
لا عداهم فى كل آفة . . . . . سكرت منه . . . . . المعكرات إلا هذه  
أحويت ، وليس حذرا فؤلا . . . . . سكرت منه ؛ فإن قالوا إن  
أخذ مثلا يحكمه سكرت منه من حبود سكرت إدوارد ،  
فقد بما . . . . . سكرت منه سكرت منه سكرت منه . . . . .



أنى لكم معشر المصريين أن تؤمنوا بيس من هذه الآفة ،  
وتعتقدوا أن أعز في هذا الزمان من أن تصير على قوم حتى  
يعدوا لها الطبيب ، لصناعة والتجارة ، ويعتقدوا أنها عمودا من  
الهمة والإقدام .

فنت كل ذلك بين الأمة يا مولاي ، وبعثت به  
بالسنة فأنه ، وأصوات مرفعه ، ولكنكم لم تروه رأي ،  
ولم تدبر لها أمرا حتى الآن . عني أن ذلك لا ينشئ مولاي  
عن الاشتراك مع المصعبين في معادله بقوهها ربما عجب  
في رجل واحد من نفس إليهم ، فتكون قد عمت أحرار ،  
ولمعت عدرا .

قال لا رأي لي يا سي حتى ترد ، ولا حكم لي حتى  
أنظر وأجبر . وسكوب ردود حصة وداع حيلة  
بالصانع والعطاء .

قال المدهد

نمر تشاب العسر كعدته ، وقال كلبته الممهودة ، إذا جاء  
الليل دهمت الشياطين ، سأله وأين الملتقى غدا يا مولاي ؟  
فأشار إلى الكو تبيتل وقال في هذا النزل .

## المحادثة الخامسة عشرة

قال المحدث :

لما كان اليوم التالي ، أتيت نزل الكونتينا ، فجلست فوق ذلك الهو العظيم ، أرفف ظلمة المسر من بين صفوف المسارة . وكان السباح قد خرجوا إليه من عرقهم ، جنسوا كل جماعة في ناحية ، يستمتعون بالشتاء تحت سماء القاهرة ، ويطفرون الحديقة وهي تحلى بذهب الأصيل ، وتجلى بالمطر احبب . وكان يحضهم هناك نفر من شباب أبناء الكبراء في العاصمة ، تدل عليهم طرايبهم ، وما سواها من الأشياء . فهم والقوم فيه سواه : وما هو إلا أنب الضمان في المجلس ، حتى نأى السر يصعد السلم مدياً عرة شماء ، ومثيراً بأنفه نحو السماء ، وكفه روبرق يستعرض في البحر .

أو غموم يستعرض في بر ، أو هو انتهى في هذا البيت  
من الشعر

تعرف لا مُنْعِظاً غير نفسه

ولا قابلاً إلا لحايفه حكماً

وما لحى أقل نخون تهلل ، وأما أصحح من هيئته ،  
وأستظم كيد خطابه ، فقدمت له كسيا ، جلس جلسة  
استكبار واستنعم في ، كأن لم يقم على أحد ؛ فرددت  
صوفاً من سبته ، وقت هلا تواضع الحكيم ، ونأدب  
الرجل العليم

قال وهلا تلتطف في الخطاب ، فما كنت أستوجب  
هذا العتاب انظر إلى انقوم ، هل جلست إلا كما يجلسون ،  
أو فعلت غير ما يفعلون ؟

قلت صدفت يا مولاي ، ولكن انقوم في موقف

احتقار لما حولهم ، ومن احتقار استبة ، فهم لا يفسدون  
من أمر هذه الأمة إلا أم أئمة حتى هؤلاء الحرة !

قال : إذن مما عمل هؤلاء الناس ، ومع فيما نحن  
من المصريين ؟

قلت : هؤلاء أساء كرام عظمهم لاي - ص - لهم عادة  
في هذه الأيام ، أن يتعدوا في معرفة السباح ، ويتمتعوا على  
صحتهم ، ويستمتعوا مرضهم !

قال : فما بهم لا يشرفون فداراة عديهم ؟  
قلت : وكيف وهم إما يعرفون إليهم بالثروة ، ثم  
لا يرونها من أسياننا إلا ما يعرفهم هذه الأمة ويحجبهم من  
وقارها ، وبذا كل الهار أنشأوا لهم 'برقة' ، حوانى الأهرام  
يوما ، وعلى النيل يوما ، من مثل مائة و'ونى' بلادهم ، وألغوا  
في ديارهم ، من مركب وماكل ، ولحقوهم نصف ، وإذا كان

المبين دلوه على سوره "مقدمه" ، حرجوا هم إلى كل مكان ،  
يصل عن ذكره انسان . ولو كانوا على شيء من الأدب  
أو قيل من العقل ، لو جدوا في هذا الد "قديم" ، العظيم  
من بحس الآداب ، و "مقدمه" ، وكرتهم الأشياء  
وه أن لما ذكر ، و "مقدمه" من الحيد شرفية تجلي بها  
أحسن صورته وأحسن مديته ، مقدر حيد رؤيته ، وتهمهم  
معرفة ، وتنبى به التهمة عن "مقدمه" امصريين ، ويجعل هؤلاء  
الآداب على اعدول عن بعض والخفارة ، إلى الحب  
وكرامة انظر به مولاى بنى هذه "مقدمه" تلك الطراش  
هذا شاب من نواع "مقدمه" من فى الأدب ، قدم مصر فى  
هذا العام سائحا ، وهو يرأس "مقدمه" "سيرة فى بلاده" .  
ويفتنى لقومه الروايات التى لا مرجع "مقدمه" من تخيلها .  
عرفى به أحد هؤلاء "مقدمه" "مقدمه" إلى هذا "مقدمه" . خلست

معه ربه . ثم تركه وقيم صاحبي بعد ذلك فقلت له :  
 ألا تجمع هذا الثوب لعمساوي ، إليك الناس في معاهد عزه  
 ويساره ، ويحبون حلاله ووقاره . فيه أحوح إلى الوقوف  
 على شئ من مظاهر الحياة الشرقية ، منه إلى إمكاريثك  
 وورساويثك وأتومويثك . فاستصحت ثم لم يرد في الجواب  
 على أن قال : ومادني أي مما يروون أو يسه ؟ أتريد أن  
 تصحك إلا فرح مناه ؟ مع أن الناس أكثر إليه من امتدحهم  
 الأمر في خدمة هذا الملك ، ومعاشه كندر المومنين من  
 الأحرار . وبخاطبة السمرات سمر بعدد . وبيته في قصر  
 رفيع المهد ، تصيح ليقصده من في حملة المهد .  
 قال أحدهم

فما كنت أسمع حتى بهن من موصد ، ثم قال هذا

يحي هو الاحتلال ، وخرجت من هذا مكان .

فانصرف هون مضرا عدى من هؤلاء الشبان .

فبحر حيا لعل على هذه الصورة ، وجمع مدشى حتى  
مرزبا تجرد واسعة على الارضية ، لمصرى من دوى الجبال .  
عظيم القدر بين التجار . فدللت الممر عليها وحدثه حدث  
صاحب . فقبل وأهتر ، ورعب فى الدحول قدحنا . وكان  
رب هذا البيت تجارى العظيم حاسبا فى ناحية ، لا يلقى  
بالا لمن دخل ، ولا يهجه من خرج . استكلا على من معه من  
ذويه وعيانه حول نظر الممر إليه ، فمضت عصاة فرعونية  
وقال منى حدى تاجر : هل الغبة فى بضاعته جلوس  
الملك والحاشية قيام :

قلت لعل له على هؤلاء الشبان استكلا يمولاي .  
قال . من هو يدعوهم بهذا الوبس إلى الاستكس ،  
ويعدهم منه احمر . ألا ترى انهم على سعة أطرافه ،



وكثرة مشغلاته . جنواً من الحركة "عظيمة" ، عطلاً من  
الحياة السكينة .

قلت لا أزال أهد عذراً للرجل يمولاي فقد كان  
محله صعباً فكرياً ، وكان ماله قليلاً فكرياً . وكان ذكره  
حاملاً فأظهره . ثم أقصر دون التسامح . وهكذا تعود  
المصريون من دهرهم يكتب أحدهم كتب من المعنى عن سائر  
الأسباب ، ونهى السعادة له داراً يقف دون الدار وليس  
ما نرى في ص حسا من الانقاص والادخار والشفاف عن  
إطها . تحارته ، وإدارة هذا المحل العظيم حق إدارته ،  
إلا - لا تل الإقصار ، وعلامات الاستعداد . ونبت حلة يشاركه  
فيها سائر أوفيق السعداء من المصريين في الزم من حاصر .  
قال نسيت الحلة ، ولابدني أن أهدم إلى الرحمن بعض  
النصح والإرشاد في هذا ومثله من شؤون عمله .

قلب : وثمن تعبت التجارة يا هو لاني حتى تعلمها رجالاتها ؟  
قال : التاجر يبيع تبيد في محله ، كل الواردين أسندته ،  
تعبه المرأة البلهاء إذا تقدمت إليه في شراء إمره ، وبودبه  
الطفل الصغير إذا تعلق به في طلب لامة : فكيف لا يرشده  
الرجال ، وهم في شغل مع الحجار بالليل والنهار ، يرون من  
أحوالهم وسوءهم في محلم ما لا يرى التاجر من أحواله ،  
ولو كان جاره أمدى يليه .

قلب : إن كان لا بد يا هو لاني . فهذا الشاب الموقد  
ذكاء ، المدهم حياة ، الممتلئ من حب التجارة ، أولى بفالي  
نصحت . وأحق شئ إرشادك . لأنه من جهة في أول  
الشباب ، وإنما يستثمر عرس التعليم في هذا العمر الصغير ،  
ومن جهة أخرى هو يحرق في من حلق هذا الشبح ما قبله .  
هـ : صدقت . فتوجه في إليه ، وتقدم ما أقوله لك  
بلسان الشياطين عليه .

## قال المحدث :

فقد صدق قصده النعمى . وكان حالها مقتصراً نشطاً ينتظر  
الإشارة ، فدل له الأمر بالنسب وهو هنر به ش . أعلم  
بني أن التاجر الحق يدخل الخانات ليستثمر عمله ، فلا يزال  
فيه على قدم حتى يخرج منه ثم يندى لباس الليل ، لأنه في هذا  
الموقف بين يدي الرايق ، وهو يحب المذنبين ، ويعبر من  
روحه في الشاطئ . حين كان المشعل بالنجارة صاحبها ،  
وحده المماثل حاضراً ، ووحده العمل ساعداً ، ووحده  
صابراً على العمل قادراً . وإن كان من الأحرار فيها . بلغ  
عند رئيسه منزلة في الحب والشفقة ، وتجنب إلى الناس بأدبه ،  
وقرب إليهم بشاكلة فإذا وفق يوماً لإنشاء محل وتأسيس  
تجاره ، مال لباس إليه . وأقبلوا عليه ، وكانت سيرة المدونة  
عدم . وأخلاقه المعروفة لديهم حبر ما يعلن به أمره .

مهما كثرت ساليب الإعلان في هذا الزمان

قال لبي . أعتذر إيت يا سيدي . وأشكرني على هذه  
الضيعة . والآر مددا تأمر .

قال اللبر . أريد دواء . ولا أكتفئ أني كثير الكتب .  
فلا أصبر على دواء واحدة

جاءه الفنى . من صفة عالية . فعملها ثم ردها  
إليه وتبسم فقال . واسو صمى يا بى كيف أريدها . وما  
نم . سكمت نعت تعب الرجوع بها من حيث جنت  
وإنه لأجل لراحة المشتري أن يكثر عليه الكجر في الأسئلة  
حال الطلب . من أن يملأ الحاوت بين يديه بصاعة . وبصبع  
عليه جارة عطيا من رمة في بحث وتقيب . وتامل وتقلب  
على أسمى عرفك بحى الإشارة ماذا أريد . إذ قلت لك إى  
كثير الكتب لا أصبر على دواء واحدة ومن كان كذلك

لا يقبى هذه الأداة من ذهب ولا فضة ، من رما أسكرتها  
لنفسه من أخشب والحاس .

قال القى : أشكره ، سبى على هذه النصيحة بعد  
الصباح . ثم إنه عرض على الأستاذ ، أه كرهه المحرم فلبه  
أخس ، ورعب عيه . خاوه ، خرى أو حوى ونسا ، فقلها  
ثم دفعها . فأنه ثالثة ورده كرك . ثم مزال حتى بدا  
عنه الملى ، وظهر عيه العصب وأحسن الأستاذ ذلك منه .  
فصل بحاصه . حدث من الملائكة يابى . فقد صرت لصيحتين .  
وأرأى على استعداد لقول الثانية ، يا نعم نسا بدا عيك من  
دلائل الصحر . و من صدر من الم من نصيحة واحدة .  
فاعلم يا بى أن بيوت التجاره لا تقمر ولا يرفع لها عماد ، حتى  
تكون أوسع من صدر الخيم . وأرحب من ماء الكرم .  
تحف . نقلا . . يدارى فيها السهام . ويعزج الحلام .

وَيُصِرُّ لِعَايَا، وَنَهَاتِ عَلَى الْعَطَاءِ، وَنَحْمَسُ فِيهَا كَعَرِيَّةً؛  
وَالشَّاحِرُ يَأْسِي قَدْ يَسَاوِمُ سَعَةً فِي الْحَرَرَةِ ثُمَّ لَا يَبِيعُ، وَفَدَى  
لَا يَسَاوِمُ لِحِظَةٍ فِي دَرَاهِمٍ يَبِيعُهَا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ يَكُونُ قَدْ  
خَسِرَ فِي الْأَوَّلِ أَصْعَافَ مَارِجٍ فِي الثَّانِيَةِ، إِذَا حَمَلَتْ مَا يَفْقَدُ  
عَمَهُ، لَيْسَ فِي حَامِلَتِهِ حَرَرَةٌ تَشْتَرِي أَنْتُمْ بِدَسٍّ هُوَ دَمُهُ  
فَيَقُولُ فِي حَامِلَتِهَا غَزَزْتُ عَنْ بَيْعِ حَرَرَةٍ، أَلَمْ يَخْدُلْ يَأْسِي  
وَأَطِيبُ الْمَنَافِشَةِ وَأَنْتُمْ فِي الْمَعَالِفَةِ، مَا كَانَ مِنَ الْمَنَافِعِ وَالشَّرِّى؛  
لَا تَهْمَا فِي الْخَمِيعَةِ جِدَاعٌ تَجَاهُ جِدَاعٌ، يُصَدِّدُ الْخُرُصَ بَيْنَهُمَا  
بِالْخُرُصِ، وَبِجَارِبِ الطَّمَعِ بِطَمَعٍ، وَبِعَانِ الْبُخْشِ بِبُخْشٍ،  
وَلَا يَنْفَعُ التَّاجِرُ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ وَلَا يَظْهَرُ عَلَى قَرْنِهِ  
إِلَّا الصِّرُّ، فَلَمَّا بَدَأَتْ هَذِهِ الْمَصِيفَةُ مِنَ التَّجَارِ الْبَاصِرِينَ.

قَالَ - أَمِيرُ بَدْمُولَايَ حَتَّى تَرَانِي أَرْضِي الْمَرِيضَ  
وَالْأَمِينَ وَالشَّجِيحَ الصَّحِيحَ.



سواء اشتهر به أم لم يهتم من أصحاب الأموال أو حتى أمرهم  
على الناس ، إذا عملت ذلك يا بني عرفت نفسك قدرها ،  
إذا برسح في اعتقادك أن المثلث والتم حرر مما كان شريكين  
في تجارة ولا دم أحدهما بالآخر ، هذا يؤسس الشركة بماله  
وسلطانه في الحفاء ، وهذا يقيمها بماله وأمانه في الجهر .  
ومنى احترام الإنسان عمله تولد عن هذا الاحترام حب  
العمل ، وهو سر النجاح : فأحبب بالنسبة التجارة بخودها  
مع الحب راحة ، وتلف صفتها معه سهلا : واجعل الأمانة  
فيها رأس مالك ، ولو كان لك شمس الجبال من رؤوس  
الأموال ، لأن دولاب التجارة يدور بالمسال مرة ، ويدور  
بالأمانة والهمة ألف مرة : وكن يابني في هذا المحل كأنه لك  
في اعتقاد ، وكأنك تمر به مزا في اعتقاد آخر ، وبعبارة  
أصرح : كن كثير العمل ، كثير الأمان ، لا تقف في النعي



عند نهاية ، ولا سهل في المجد عند عاية ، والى أن كل  
 ما يبيض عن قدر الإنسان وشخصه من سعة الثروة ورفعة  
 الذكر ، إنما يبيض على وضه وقومه ؛ وإن طامس مثل  
 حاصر هذا ، كالحى ، الأمريكى ، جمع بالأمم من سفن تجاره  
 في لجج العرب وبحار الشرق تحت راية أمريكا التجارية ،  
 مع أن المجد والثراء من أن يسزاد هذا الرجل راء ، وإذا  
 ذكر التوفيق يابى أو خطرت السعادة على مالك ، أو سدت  
 عن قيام الجود بين الأسر وإفدال الدنيا ، فقل ذلك فصل  
 السماء تؤنيه من ثناء ، وكل كرم من الأجره ملأها شى  
 واستوثق من استقامة إمرتها وسلامة ألائها وكان أدواتها ،  
 ثم حرج به إلى عالم الماء ، عن أحد موثقاً على الرياح  
 والأنواء ، ولا في يده صك بالوصول من نقصاء .  
 قال المدهد :

وسمي الأستاذ يشر من حلي لصانعه وشرر وصيايه على  
 سمع العلم ، وهو يصغي لما يقول ويستمع منه دكي في طاعه  
 حب الاستفاضة ، السلع رب اتجاره من كرسية ثم تقدم  
 نحونا وسأل ثم قال : من هذا الذي في يدك ؟ عذري ما وجدته  
 يريد ؟ قال : يريد دواء ولا يكاد يجد طيبه ، فاستحوذ على  
 الكحل العصب وقل يذهب القى : أم أحل دواء تو حر  
 شعرك ساعه ، وسقط لخدلين دون الحرافة ، فعبس الأستاذ  
 وتولى ، وهمس في أذني ما قال : هذا ياني هو الاحتلال !  
 ثم خرجا فاندفعنا نمتي حتى مررنا بجدار كتبت على  
 الارمكية أيضا ، فاستوقف العبر حفارة صوته ومظنه  
 الردي ، فأسألي : ما الحافه ؟ قلت : لو حل ما يامولاي .  
 قال : ما يصنع هذا ؟ قلت : تحاد الكتب وتعييف (الرسائل)  
 لكي تحفظ زما طويلا ، وتكون للكتاب زينة : قال :

هل من الدحول ؟ قلت : فقط ما دأب أمر يا مولاي .  
قال : انظر إلى الشمس كيف زالت ، وإلى دولة الهار  
كيف زالت . ثم نظى كعادته وتساب ، وقال كلمته المألوفة  
إذا جاء هذا من الشبابين ، وإذا كان الع . فالق في أصله  
على باب هذا الخاوية .

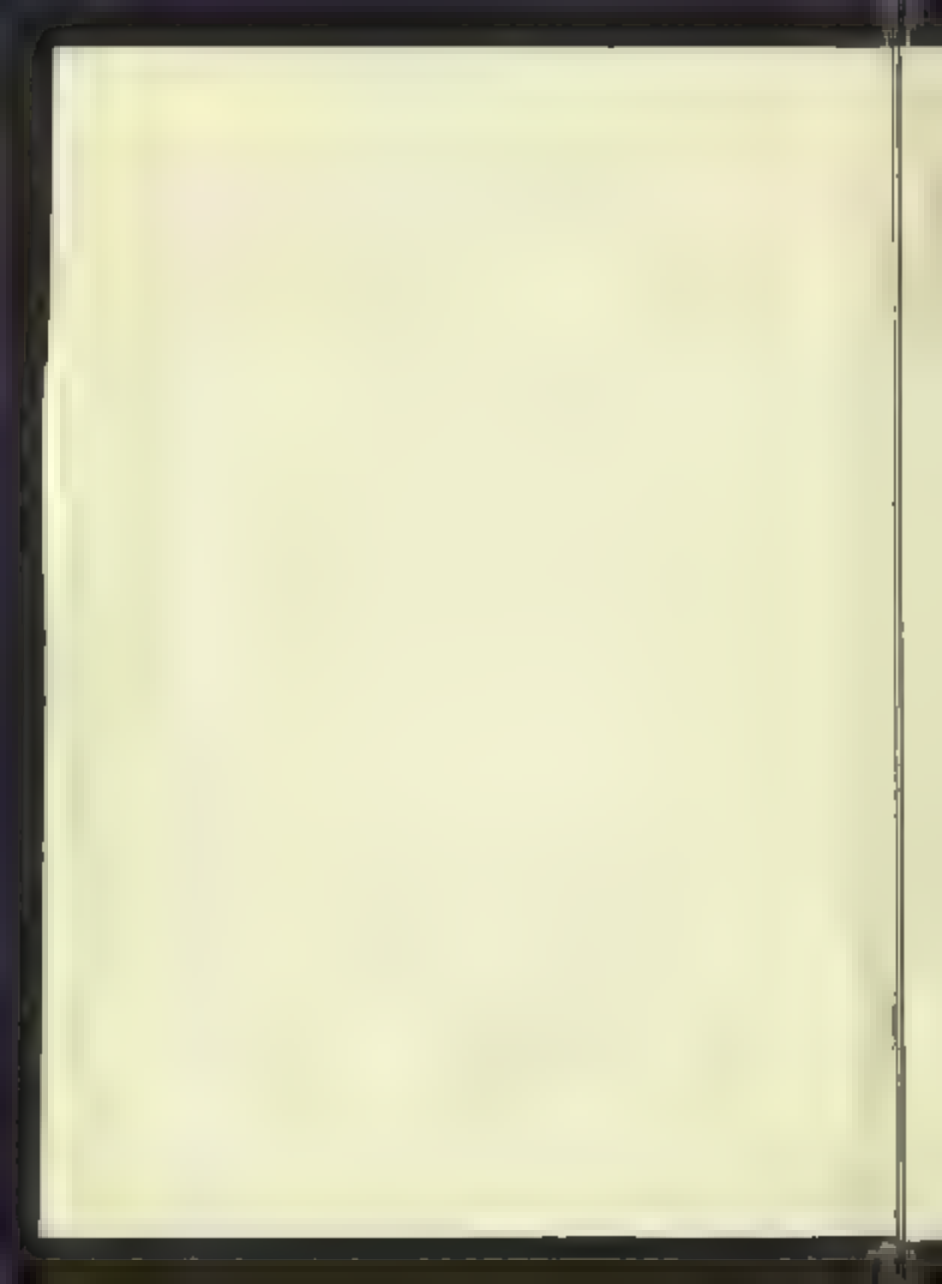
• • •

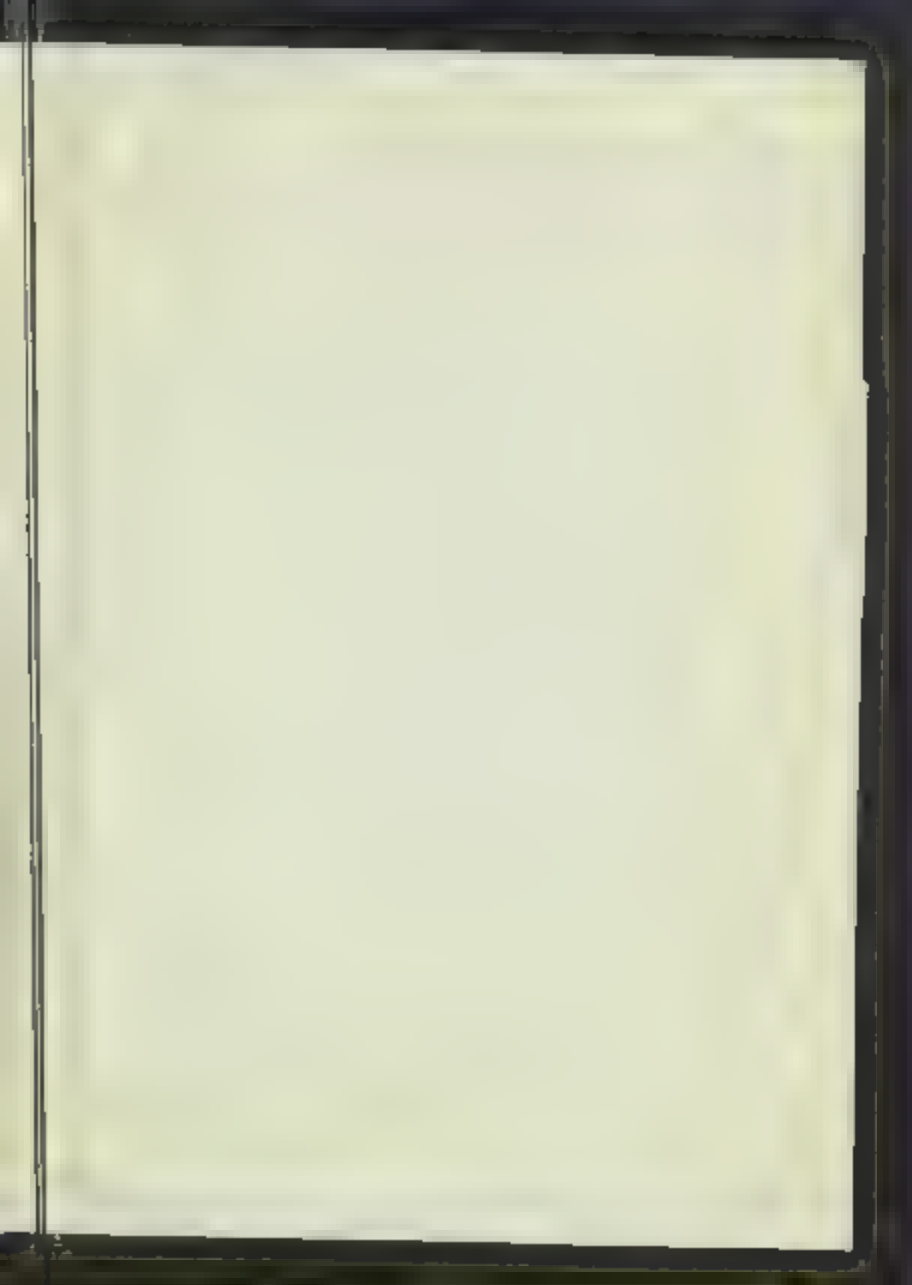
ول الحمد

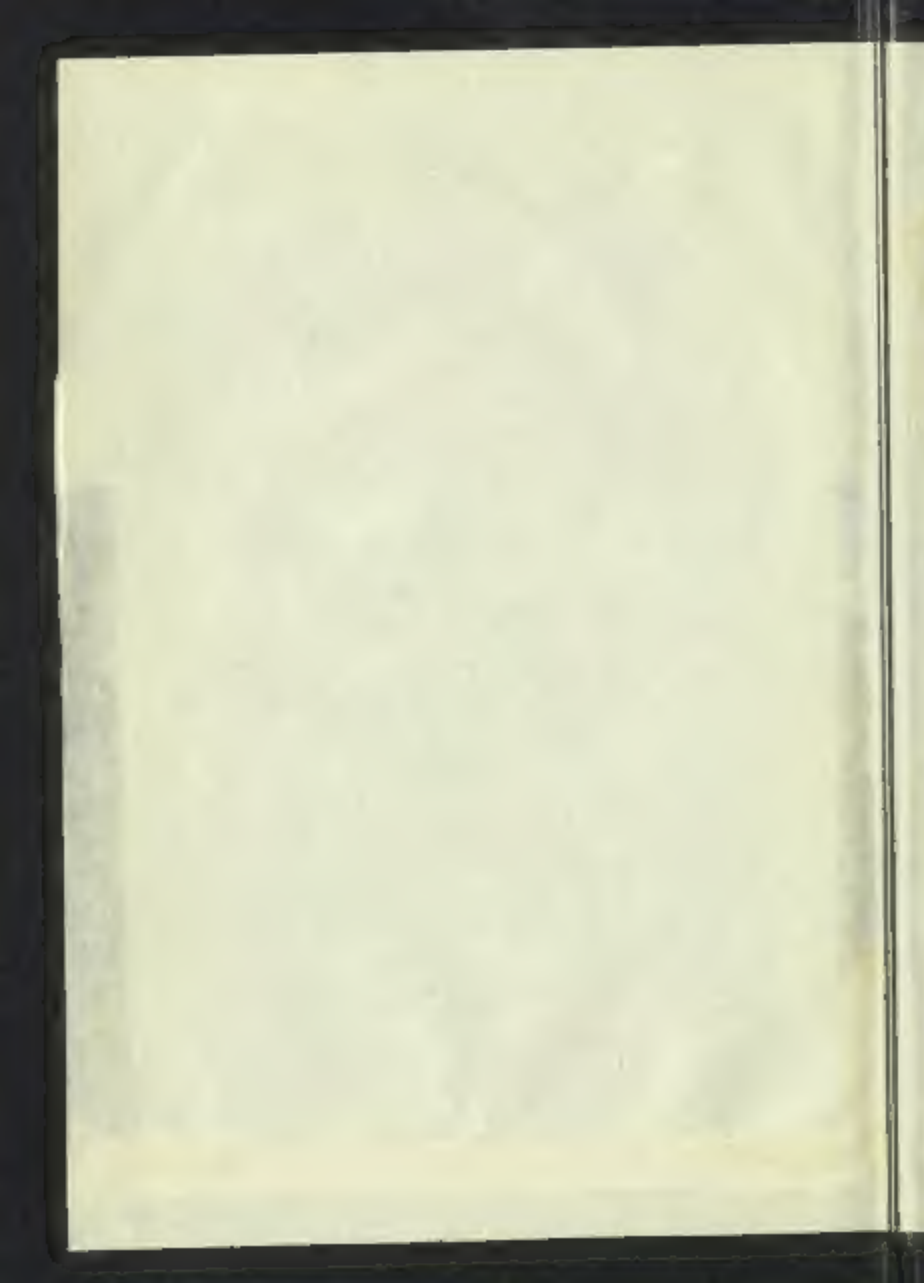
ثم لم أزل أذكر في نفسي وأما أذكر  
تحت حر و "علام" و روحانية ذلك "علام" ، وأتسبى على العصابة  
أن أستعمر مواه الأمة من خواصها مرشدين ، وتعت  
حجمهم أصابع من العدم الخاضعين ، وأسأل الله أن يخرج  
نفسه من الظلمات إلى النور .

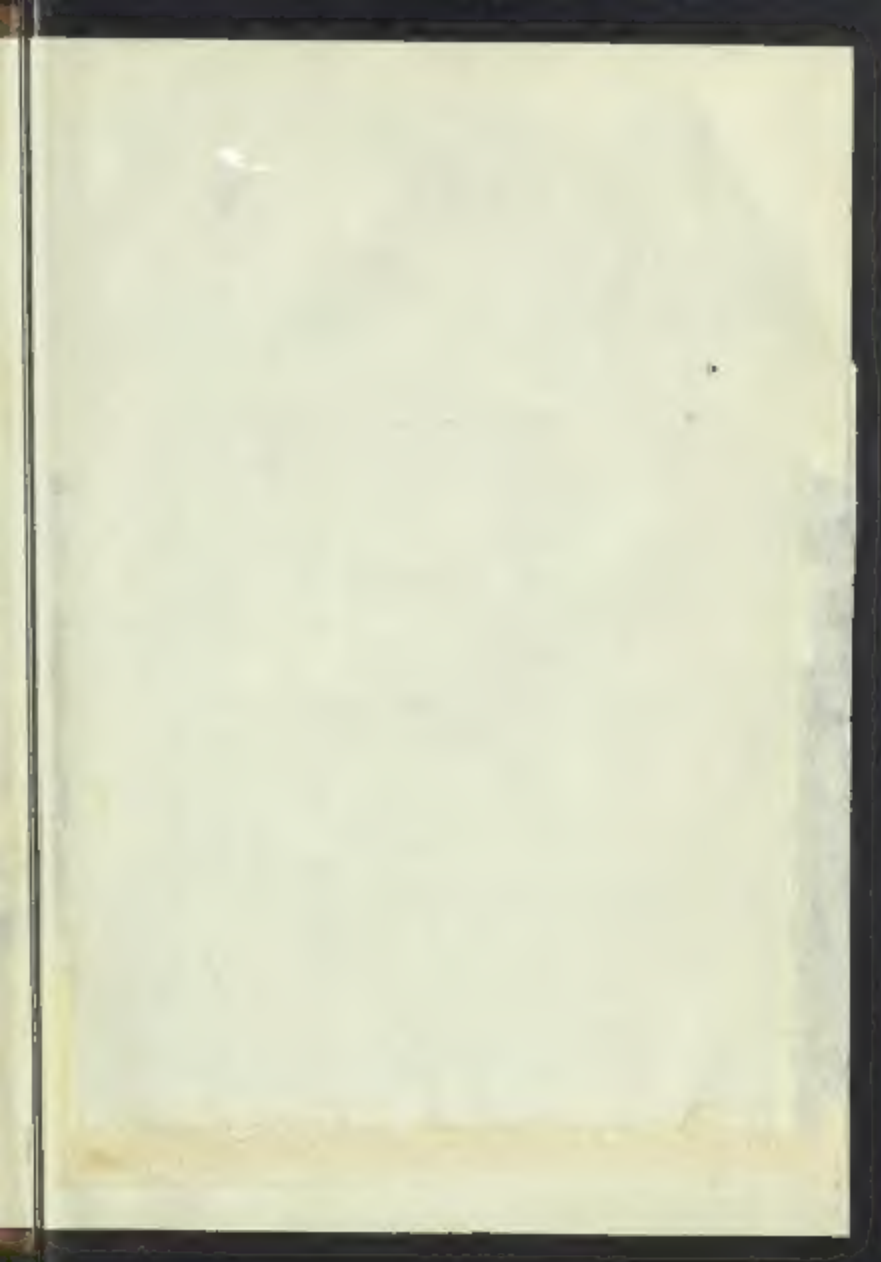
## فهرست

صفحة	صفحة
١١٩ المحادثة السابعة	٣ تمهيد
١٣٧ ٥ الثامنة	١١ مقدمة
١٥٣ ٥ التاسعة	١٤ إهداء الرسالة
١٧١ ٥ العاشرة	١٥ المحادثة الأولى
١٩١ ٥ الحادية عشرة	٣٠ ٥ الثانية
٢٠٧ ٥ الثانية عشرة	٥١ ٥ الثالثة
٢٢٤ ٥ الثالثة عشرة	٦٨ ٥ الرابعة
٢٤٣ ٥ الرابعة عشرة	٨٥ ٥ الخامسة
٢٦١ ٥ الخامسة عشرة	١٠١ ٥ السادسة











الفرمان محمد سعيد

شيفان بنماه و او ليد لقمان و حدهد سر

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



81447111

